الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

الاغتراب في قصيدة" لِكُلِّ شَيءٍ إِذَا مَاتَمَّ نُقْصَانُ" لأبي البقاء الرندي - دراسة موضوعاتية-

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: لغـــة و أدب عـــربي

التخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبتـــين:

*- عـبيـــــر عـليـــوش

*- سهـــام بـــوقـاســـة

إشـراف الدكتـــور :

*- مـوســـى كـراد

السنة الجامعية: **2017/2016**

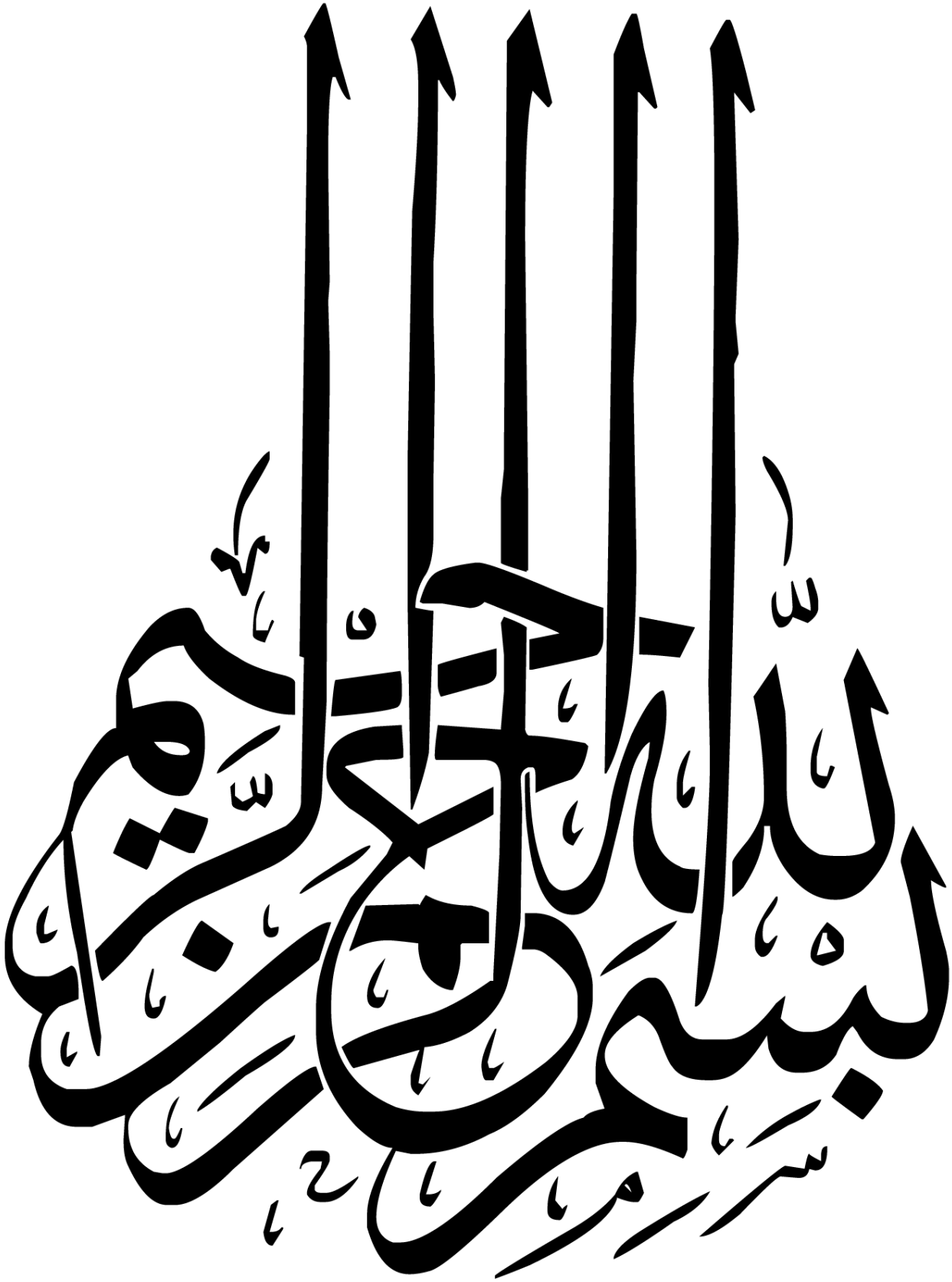
بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء

قـال تعالـى:

بسـم الله الرحمـن الرّحيـم

﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

(سورة البقرة الأية 32)

قال أبو البقاء الرندي:

خَلِيلَي بالوِدِّ الذِي بَيْنَنَا أَجْعَلاَ ****** إِذَا مُتُّ قَبْرِي عُرْضَةً للتَّرَحُمِ

عَسَى مُسْلِمٌ يَدْنُو فَيَدْعُو بِرَحْمَةٍ ****** فَإِنِّي مُحْتَاجٌ لِدَعْوَةِ مُسْلِمِ

شكر وتقدير

قال تعالى في محكم تنزيله:

﴿لَئن شكرتم لأزيدنكم﴾

(سورة ابراهيم الآية256)

فالحمد الله الذي هدانا إلى هذا وما كنا لنهتدي لولا هداه، والذي أمدنا بالصبر ووفقنا

لإتمام هذا العمل، نشكره سبحانه وتعالى ونحمده على التوفيق.

كما نتقدم بالشكر الجزيل والتقدير المفعم بالعرفان إلى الأستاذ المشرف "موسى كراد"

على تضحياته الجسام من أجل إتمام هذا العمل، بصرف أنفس أوقاته في سبيل توجيهنا

وتقديم النصيحة القيمة لنا.

فنسأل الله أن يجعله معينا لا ينضب عطاؤه ونصراً لا يجف إمداده وأن يسدد خطاه

في تقديم أنبل رسالة

كما نتقدم بالشكر والعرفان إلى لجنة المناقشة

وكل من ساعدنا في إنجاز هذا البحث من قريب وبعيد

جزاهم الله خيراً وإحساناً

سـمـاء***عـبـيـر

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ،سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن والاه إلى يوم الدين ، وبعد :

يعد موضوع الاغتراب من المواضيع الهامة التي نالت حيزا واسعا في الدراسات الأدبية الغربية و العربية على حد سواء ؛ فهو من الظواهر و الحالات الإنسانية الذي عُرف مند القدم ، فقد كان مصاحبا و ملازما للإنسان مند بداياته الأولى ، خاصة حين بدأت المجتمعات في التشكل حيث ألقت هذه الظاهرة بظلالها على حياة الإنسان فكريا و نفسيا وحتى اجتماعيا و سياسيا .

ولأن المجتمع الأندلسي من بين المجتمعات التي تجرعت مرارة الاغتراب فكانت لهم بذلك تجربة اغترابية حقيقية عبروا عنها بصدق وانفعال فانعكست و تبلورت في جل أشعارهم .

من هذا المنطلق ارتأينا أن تكون دراستنا على أحد النمادج الشعرية التي خلّدها الأندلسيون ؛ وهي نونية "**أبي البقاء الرندي**" .

فأما عن سبب اختيارنا لهذا الموضوع كون الأدب الأندلسي بصفة عامة لا يزال يحتاج إلى كثير من الدراسات المعمقة التي تذهب به بعيدا عن السطحية و السرد التاريخي أما السبب الثاني ؛ فهو شغفنا بتاريخ الأندلس عموما.

من هنا جاء اختيارنا لهذا الموضوع الموسوم بـ : **الاغتراب في قصيدة " لكل شيء إذا ما تم نقصان" "لأبي البقاء الرندي" _ دراسة موضوعاتية _.**

فانطلق البحث من إشكالية تمحورت حول مجموعة من التساؤلات تمثلت فيما يلي :

_ ما تداعيات الاغتراب لدى "**أبي البقاء الرندي**" ؟.

_ ما أهم التمظهرات الاغترابية في القصيدة النونية ؟ .

_ و ما أهم الآليات التي استعان بها الشاعر لقهر اغترابه ؟ .

وقد كان المنهج المتبع و الملائم لطبيعة الدراسة ؛ هو المنهج الموضوعاتي وذلك لانفتاحه على المناهج النقدية الأخرى ؛ بسبب مرونتة و تمتعه بالحرية في الوصف و القراءة إضافة إلى استعانته بآليات أخرى كالإحصاء و التحليل .

وهذا ما اقتضى اعتماد خطة تحيط بالموضوع من كل جوانبه فجاءت متضمنـة : لمقدمــة ، مدخـل ، ثلاثـة فصول وخـاتمة للبحـث وملحقيـن.

فالمدخل خصصناه للمنهج الموضوعاتي : مفهومه، رواده وأهم الركائز الموضوعاتية . أما الفصل الأول فكان بعنوان : الاغتراب مفهوم ودلالات ، قُسم هو الآخر إلى مبحثين اثنين. كان الأول بعنوان: الاغتراب أنواعه ومظاهره تناولنا فيه مفهوم الاغتراب و سيرة هذا المصطلح إضافة إلى أنواعه ومظاهره ، في حين تناولنا في المبحث الثاني: جذور الاغتـراب فـــي الشعـر العـربـــي القديـــم .

كما عرضنا في الفصل الثاني الموسوم بـ : تجليات الاغتراب في نونية "**أبي البقاء الرندي**" إلى عوامل و أنماط الاغتراب و أهم آليات التي استعان بها الشاعر لقهر اغترابه . وفي الفصل الثالث الموسوم بـالأثر الفني للاغتراب في نونية " **الرندي**" تناولنا فيه : المستوى الصوتي ، المستوى التركيبي ، المستوى الدلالي و المعجمي .

ثم خاتمة تمثلت في أهم النتائج المتوصل إليها ؛ من نتائج وملاحظات أساسية حـول الاغتـراب فـي نونيـة "**الـرنـــــدي**".

وحسب اطلاعنا الشخصي حول ما إذا تناولت دراسة سابقة موضوع الاغتراب عند "**أبي البقاء الرندي**" فإنها منعدمة ؛ إذ لم تنل حظها لدى الباحثين إلا شذرات متفرقة "**كالطاهر أحمد مكي**" في كتابه "دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة" حيث درس النونية على أنها مدونة تاريخية مكتفيا بترجمة حياة الشاعر، وبعض الإشارات المجملة على النونية كسبب قولها وعذوبة لغتها، أما موضوع الاغتراب فاقتصرت الدراسات فيه علـى شعـراء غيـر "**أبي البقاء الرندي**" "**كابن دراج**" وغيـــره .

وكان مصدر دراستنا كتاب "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب" "**لأحمد بن محمد المقري التلمساني**" ،أما عن المراجع فتراوحت بين دواوين للشعر كديوان "**الرصافي البلنسي**" ومجلات كمجلة "عالم الفكر" ، أما مذكرات التخرج نذكر منها مذكرة " **خميسي بولعراس** " الموسومة بـ: "الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف " إضافة إلى المراجع الأدبية القديمة منها و الحديثة .

وختاما نقر بالفضل لأصحابه ، فنسجل شكرنا وامتنانا لأستاذنا المشرف "**كراد موسى** " على تفضله بالإشراف على هذه المذكرة و على توجيهاته الكريمة وآراءه السديدة التي استفدنا منها في مسيرة بحثنا هذا . فله بعد الله سبحانه وتعالى الفضل علينا وعلى هذه الدراسة .

و نرجو من الله التوفيق و السداد.

مـــدخـــــل:

المنـهـج الموضوعاتـــي

1 ـ مفهـــــوم المنهـــج الموضوعاتـــي .

1 - 1 - لغـــــة .

1 - 2 - اصطـــلاحـــا .

2 - النقد الموضوعاتي بين الغرب و العرب .

2 - 1 - النقـــد الموضوعاتـي عند الغـــرب .

2 - 2 - النقـــد الموضوعاتـي عند العـــرب .

3 - رواد و أعـــلام المنهـــج الموضوعاتـــي .

3 - 1 - عنـــــد الغـــرب .

3 - 2 - عنـــد العـــــرب .

4 - الركـائـــز المنهجيـــة المـــوضوعاتيـــة .

1 مفهـوم المنهـج الموضوعاتــي:

1 . 1 ـ لغـــــــة:

تشتق كلمة الموضوعاتية أو " thématique" في اللغة الفرنسية من كلمة " thème" أو التيمة،وهو ما يقابلها في اللغة العربية بـ الموضوعاتية/ الموضوعاتي أوالموضوعاتيات[1].

والموضوعاتية كلمة مشتقة بدورها من كلمة موضوع ؛ والموضوع في القاموس "محيط المحيط" " **للمعلم بُطرس البستاني**" (مادة وضع)، هو: «**الشيء الذي عُيِّنَ للدلالة على المعنى، والمشار إليه إشارة حسية** »[2].

نستنشف من هذا القول بأن الموضوعاتية أو الموضوع، هي تلك الفكرة الأساسية والمركزية لأي عمل أدبي (مقصدية الكتاب).

والموضوع عند الناقد: " **جميل حمداوي** " هو: البؤرة، النواة الدلالية، المحور، الغرض الحافز،...أو الجذر.

1 . 2 . ا صطـــلاحـــا:

النقد الموضوعاتي منهج نقدي ظهر إبان ستينيات القرن العشرين، وهي مرحلة وفترة عرفت سيطرت مجموعة من المناهج النقدية التي نذكر منها: النقد السيكولوجي مع " **شارل مورون**" **Charles Mauron** ،النقد السوسيولوجي مع " **لوسيان غولدمان** " **Lucien Goldman**، ومن ثمة فالنقد الموضوعاتي يُبنى « **على استخلاص الفكرة العامة أو الرسالة المهيمنة أو الرهان المقصدي أو الدلالة المهيمنة أو البنية الدالة التي تتجلى في النص أو العمل الأدبي** »[3]، ومن ثم فالنقد الموضوعاتي هو نقد ومنهج يبحث ويستقصي البنية الداخلية للعمل الأدبي باختلافه شعراً كان أم نثراً، ولا يتم هذا الأمر –حسب "**جميل**

---

[1]- جميل حمداوي: المقاربة النقدية الموضوعاتية، مؤسسة المثقف العربي، ط1، 2015، ص:6 .

[2]– المعلم بطرس البستاني: محيط المحيط– قاموس مطول اللغة العربية–، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، دط، 1987 مادة وضع ، ص: 974.

[3]– جميل حمداوي : المقاربة النقدية الموضوعاتية، ص:10.

حمداوي"- إلاّ عن طريق الانطلاق من القراءة الصغرى نحو القراءة الكبرى، لتعرف على الجنس الأدبي، ورصد حيثياته المناصية والمرجعية وتفكيك النص إلى حقول معجمية وجداول دلالية إحصائية لمعرفة الكلمات والعبارات والصور المتكررة في النص الأدبي اطرادا وتوتراً، كما يستلزم قراءة نص واحد أو مجموعة من النصوص والأعمال الأدبية التي كتبها المبدع[1]؛معنى هذا أن النص الأدبي يمر بمرحلتين أولهما: القراءة الصغرى ونقصد بها القراءة السطحية أو الاستكشافية وفيها يتعرف المتلقي والقارئ على النص لأول مرة، تليها القراءة الكبرى، وتعمد إلى تحليل النص وتفكيكه إلى وحدات بهدف الوصول إلى كُنه النص.

2 النقد الموضوعاتي بين الغرب والعرب:

2-1- النقد الموضوعاتي عند الغرب:

تعد فترة الستينيات من القرن العشرين بفرنسا الإطار الزمني التي برزت فيه المقاربة الموضوعاتية كمنهج نقدي، وهي فترة عرفت هيمنة مناهج نقدية كالشعرية الفلسفية مع "**كاستون باشلار**"، النقد الفينومينولوجي مع "**بولي**" النقد السيكولوجي مع "**شارل مورون**" وكذا النقد السوسيولوجي مع "**لوسيان غولدمان**".

وظهرت المقاربة الموضوعاتية كنتيجة لذلك الصراع الذي تكون طرفاه من الاتجاه النقدي اللانصوني الأكاديمي، والذي يمثله "**ريمون بيكار**"، والذي يعتمد في مجمله على القراءة الوضعية، والتحليل البيوغرافي في النص الإبداعي، والبحث أيضا عن المبدع وفلسفته ورؤيته الوجودية مع ربط النص اللغوي بالفضاء الزمكاني الذي يحيط بالأدب [2] أي إنّ هذا النوع من النقد يأخذ في اعتباره العوامل التي ساهمت في إنتاج النص الإبداعي شعراً كان أم نثراً، وكذا الاتجاه المعروف بالنقد الجديد بزعامة "**رولان بارت** "، الذي ردّ على الاتجاه الأوّل (اللانصوني) في كتابه الموسوم **بالنقد الجديد** ، من خلال التركيز

[1]- جميل حمداوي : المقاربة النقدية الموضوعاتية، ص: 10.

[2]- المرجع نفسه، ص :25.

على السمات الإيجابية للخطاب الوصفي المعاصر، والإشادة بمرتكزاته النظرية والتطبيقية الأمر الذي أدى إلى بروز منهج نقدي تكاملي، ألا وهو "المنهج الموضوعاتي".

2-2- النقد الموضوعاتي عند العرب:

كانت سنوات السبعين من القرن العشرين إيذاناً بدخول المنهج الموضوعاتي إلى الوطن العربي تأثرا بما تم في أوروبا خاصة وأنّ هذه المناهج النقدية التي كان لأوروبا فضل السبق إليها، تدخل في إطار الانبهار والإعجاب في ظل سيطرة النقد المضموني الانطباعي واكتساح النقد الايديولوجي والماركسي للساحة النقدية العربية.

كما لم يتجاوز النقد الموضوعاتي عتبة الجامعة على شاكلة أطروحات جامعية لباحثين يعدون على الأصابع، أمثال "**كيتي سالم**"، "**عبد الفتاح كليطو**" وغيرهم[1].

3- رواد و أعـــلام المنهـــج الموضوعاتـــي:

3-1- عنـــد الغـــرب: ومن رواد هذا المنهـج:

- **كاستون باشلار" Bachlard**": يعتبر الفيلسوف "**باشلار**" الأب الروحي للنقد الموضوعاتي من خلال بحوثه الأدبية كالتخيل الشعري، شاعرية الفضاء وشاعرية الحلم...إلخ، وكذا اهتمامه الموضوعاتي بعناصر الكون وصوره الأربعة: (الأرض/الماء/النار/الهواء) من خلال نافذته الفلسفية والإستيمولوجية والشاعرية [2].
- **ميشال كيومار " MGUMAR "**: وقد برز كرائد من رواد الموضوعاتية خاصة بمؤلفاته الثلاث:
  - ✓ اللاوعـــي والتخيـــل 1964.
  - ✓ مبادئ جمالية الموت 1969.
  - ✓ القنـاع والاستيهـــام 1970.

---

[1]- جميل حمداوي : المقاربة النقدية الموضوعاتية، ص:34.

[2]- سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، شركة بابل، الرباط، المغرب، ط1، 1989، ص: 17-18.

أين يبحث في جل أعماله عن التيمات الأساسية للتخيل بهدف الإلمام بحدث يضمن استمرارية الرؤية الخاصة بفضل توحد الخيال بالذاكرة، وما يميزه أيضا تلك الميزة التي تقوم على توسيع مجال أبحاثه الموضوعاتية لتشمل حقول التشكيل والموسيقى والسينما مع تفضيل للأدب طبعا[1].

- **جان ستاروبنسكي" Strarobikski"**:ومن الكتب التي اشته ر بها هذا الناقد الموضوعاتـــي نذكـــر:
  - ✓الشفافية والعائــق 1958.
  - ✓العيــن الحيـــــة 1961
  - ✓السخرية والسوداوية 1966.

ومن ثم فهو: «**ناقد الأعماق يبحث عن واقع خفي قصد معرفته معرفة جيدة** »[2]

فهو يبحث عن "المعنى الخفي" انطلاقا مما هو ظاهر و بائن للعيان "المقصدية".

- **جان بيير ريشار " Richard"**: فقد كان هاجسه حسب الدارس "**جميل حمداوي**" في العمل الأدبي «**هو البحث عن معنى ساذج ضمني، أو فوقية لغوية تطابق العمل الموضوع في حيز اللاشعور، وفي مرحلة تنسيق الفكر للصور الأدبية** »[3]؛ أي البحث عن البنية الأساسية والنواة التي يتمحور حولها وترتكز عليها العملية الأدبية.

تقوم منهجية "**ريشار**" على مبدأين اثنين هما: التوضيح وإعادة البناء، كما تتجلى مقاربته الموضوعاتية في عدة مدونات نذكر منها:

- ✓الأدب والحساسية 1954.

---

[1]– سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، ص:23 – 24.

[2]– المرجع نفسه، ص : 24.

[3]– جميل حمداوي : المقاربة النقدية الموضوعاتية، ص:31 – 32.

- ✓الشعـر والأعمـاق 1955.
- ✓العالم التخيلـــي لمالارمـــي 1961.
- ✓دراسات عن الشعر المعاصر 1964.
- ✓مـن أجـل قبـــر لأنـاتـــول.
- ✓مشهـد شاتـو بـــريـــان 1967.
- ✓مراسلات مالارمي: ودراسات عن الرومانسيـة، كما تتبني منهجيته على عدة خطوات هي:

-البحث عن الخلية الرئيسية في النص، وحصر محاورها وجذورها ضمن التجسيد اللغـــوي البحـــت.

-مقارنة مختلف الـجذور الدلاليـــة، واستخـــلاص تراكماتها اللغوية وأبعادها الدلاليـــة.

-تعميم المقارنة على مختلف نصوص الكاتب انطلاقا من وحدات أساسية تتحدد في نص رئيسي أو مجموعة نصوص مبنية.

- **جورج بولي** " **Poulet**": يعد من الذين تأثروا أيما تأثر **بباشلار**، تناول "**بولي**" الفضاء والزمن بأسلوب فلسفي ميتافيزيقي وحدسي، خاصة في كتبه:
  - ✓ دراسة حول الزمان الإنساني 1950.
  - ✓ البعـــد الداخلـــي 1952.
  - ✓ تحـــولات الدائـــرة 1961.
  - ✓ القضاء البروستي 1963.

إضافة إلى: " **مانسي**" " M. Mansuy" "**مرسيل بروست**" " Mrecel Proust" "**جان روسيه**" "Rousset"، "**جان بورغوس**" و"**جان ويبر**" ... الخ.[1]

[1]-جميل حمداوي : المقاربة النقدية الموضوعاتية، ص: 30 .

3-2 عنـــد العـــرب:

يشير الناقد المغربي " **سعيد علوش**" إلى أن المقاربة الموضوعاتية لم تظهر في الوطن العربي إلا في سبعينيات القرن العشرين عن شاكلة أطروحات جامعية لا غير الأولى كانت دراسة " **عبد الفتاح كليطو** " في رسالته "موضوعاتية القدر في روايات فرانسوا مورياك 1971" والتي قُدمت باللغة الفرنسية إلى كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط، والثانية للباحثة "**كيتي سالم**" بإشراف ج. ب. ريشار بموضوع القلق عن "كي دي موباسان 1982"، أما الثالثة فهي أطروحة أعدت من طرف " **عبد الكريم حسن** " بإشراف "أندري ميكايل" و"غريماس" بعنوان "الموضوعية البنيوية في شعر السياب 1983.[1]

إضافة إلى كل من:

- "**علـــي شلـــق**" في:
  - القُبلة فـي الشعر العربـي القديـم والحديـث.
  - المتنبي شاعر ألفاظه تتوهج فرساناً تأسر الزمان.
  - ابـن الرومـي فـي الصـورة والوجـود.
  - أبـو العـلاء المعري والضبابيـة المشرقـة.
- "**سعيـد علـوش**":
  - بكتـاب النقـد الـموضـوعـاتـي.
- "**حمـيد الحميدانـي**":
  - سحـر المـوضـوع.
- "**جـوزيـف شريـم**" في مقالـه:
  - الاتجـاهـات النقديـة النفسانيـة.

[1]- سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، ص: 37 .

- "**سعيـــد يقطيـــن**":

– القــراءة والتجربـــة.

ويجمع الباحثون ومن بينهم " **جميل حمداوي** " على أن أغلب الدراسات العربية الموضوعاتية تكاد تكون دراسات تتسم إمّا بالسطحية أحياناً، أو بالعمق التحليلي أحيــاناً أخـــرى.

كما يشير أيضا إلى دراسات تقترب من المقارنة الموضوعاتية إمّا شكلاً أو مضموناً على الرغم من عدم وجود مستندات نظرية ومنهجية توضح إمّا طبيعة المقاربة، نوع النقد المنهجي المطبق، ومن بين هذه الدراسات التي أوردها " **حميد لحميداني** " في كتابه "سحر الموضوع":

- "**فاروق وادي**": ثلاث علامات في الرواية الفلسطينية.
- "**عبـــد الكـــريم الأشتـــر**": دراسات في أدب النكبـة.
- "**محمد أبو خضور**": دراسات نقدية في الرواية السورية.
- "**محمد مصايف**": الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام[1].

4 . الركائـــز المنهجيـــة المـوضوعاتيـــة:

تقوم المقاربة الموضوعاتية على مجموعة من الركائز المنهجية نذكرمنهـــا [2]:

- ✓ قراءة النص قراءة شاعريـــة عميقـــة ومنفتحـــة.
- ✓ الانتقال من القراءة الصغرى إلى القراءة الكبرى.
- ✓ تحديـــد مكونات النص المناصـيـة والمرجعـيـة.
- ✓ التأرجح بين القراءة الذاتية والقراءة الموضوعيـة.
- ✓ البحث عن التيمات الأساسية و التيمات الدلالية المحورية و الموضوعات المتكررة و الصور المفصلة في النص الإبداعي .

---

[1]- جميل حمداوي : المقاربة النقدية الموضوعاتية، ص: 34- 36.

[2]- المرجع نفسه، ص:13.

- ✓ جرد هذه التيمات واستخلاص الصور المتواترة في سياقها النصي والذهني والجمالي.
- ✓ تشغيل المستوى الدلالي برصد الحقول الدلالية وإحصاء الكلمات المعجمية والمفـردات المتواتـــرة.
- ✓ توسيـــع الشبكـــة الدلاليـــة لهـذه التيمـــات المرصـودة دلالـياً فهـماً وتفســـــيراً.
- ✓ رصد الأفعال المتحركة والمولِّدة للمعاني في سياقاتها الصوتية والإيقاعية والصرفية والتركيبية والتداولية مع دراسـة دلالاتها الحرفية والمجازيـــة واستنطاقـــها فهما وتأويـــلاً.
- ✓ الانتقال مـن الداخـل النصـي إلى التأويـل الخارجـي والعكـس صحـيح أيضـــاً.
- ✓ دراسة الموضوع المعطى من أجل البلوغ إلى الجانب الحسي في الأثر الأدبي أو الوصـــول إلى البنيـــة الموضوعـــية المهيمنـــة للعمـل الأدبـــي.
- ✓ حصر العناصـر التي تتكـــرر بكثـرة، وبشكـل لافـت في نسيـج العمـل الأدبـــي.
- ✓ تحليل العناصر التي تم حصرها ورصدها اطرادا وتواتراً (الاهتمام بالمعنى السياقـي).
- ✓ المقارنـــة بيـــن الظواهـر الدلاليـــة والمعجميـــة والبلاغيـــة تآلفـــاً واختـــلافـــــا.
- ✓ تجنب التزيد في التحليل الموضوعاتي واللجوء إلى الإسقاط القسري المتعسف وعدم تقويل النص ما لـــم يقلـــه.
- ✓ جمـــع النتائـــج التـــي تـم تحليلـــها لقراءتـــها تفسـيرًا وتأويـــلاً واستنتـــاجـــاً.
- ✓ بناء قالب نموذجي مجرد يستطيع أن يستوعب داخله تفاصيل العمل الأدبي المدروس.
- ✓ ربـــط الـــدلالات الـــواعية وغير الواعيـــة بصـــورة المبـدع الذاتيـــة والموضوعيـــة

ومـن ثمـة تُبنـــي المقاربـــة الموضوعـــاتية على ثـلاثـة مـــراحل هـــي:

الإحصـاء/التحليـــل/ البنـــاء.

الفصـــل الأول :

الاغتراب مفـهوم ودلالات

المبحث الأول :الاغتراب أنواعه ومظاهره.

1 . مفهوم الاغتراب.

1 . 1 . لغة .

1 . 2 . اصطلاحا .

2 . سيرة المصطلح.

3 . أنواع الاغتراب.

4 . مظاهر الاغتراب.

المبحث الثاني: جذور الاغتراب في الشعر العربي القديم

1 ـ الاغتراب في الشعر الجاهلي.

2 ـ الاغتراب في شعر عصر الفتوحات الإسلامية.

3 ـ الاغتراب في الشعر الأموي.

4 ـ الاغتراب في الشعر العباسي.

5 ـ الاغتراب في الشعر الأندلسي.

1. مفهـــوم الاغتـــراب:

يعدّ الاغتراب من المفاهيم والمصطلحات التي تتسم بالكثير من الغموض والضبابية نظرًا إلى كونه ظاهرة ارتبطت ووجدت بتواجد الإنسان منذ القدم إلى غاية العصر الحديث: « **إذ يعتبر الآن من أكثر المصطلحات تداولًا في الكتابات التي تعالج مشكلات المجتمع الحديث،وبخاصة المجتمع الصناعي المتقدم وبالذات في الدول الرأسمالية** »[1]

ولأن العُرف المنهجي يُلزم الباحث بالمرور بالجانب اللغوي والاصطلاحي لأي مصطلح أو ظاهرةٍ، كان لابد من ذلك.

1.1 لغـــة:

1.1.1: فـي اللغـــة العربيـــة:

للاغتراب معان ودلالات عديدة، تعكس طبيعة النظر إليه، ومن ذلك ما ورد في "لسان العرب" "**لابن منظور**"، مادة غَرَبَ: [2] وَالغَرْبُ: الذَّهَابُ والتنحي عَنِ النَّاسِ. وَقَدْ غَرَبَ عَنَّا يَغْرُبُ غَرْبَا، وَغَرَّبَ، وَأَغْرَبَ وَغَرَّبَهُ، وَأَغْرَبَهُ: نَحّاهُ.

وفي الحديث أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أمر بت غريب الزّاني سَنَةً إِذَا لَمْ يُحْصَنْ وهو نفيه عَن بَلَدِه[3].

والغَرْبَةُ وَالغَرْبُ:النَوى وَالبُعْدُ، وَالغُرْبَةُ وَالغُرْبُ: النزوح عَنِ الوَطَنِ وَالاغْتِرَابُ .

ومن ذلك قول المتلمس[4]:

أَلَا أَبْلَغَا أَفْنَاءَ سَعْدِ بْنُ مالكٍ رِسَالَةَ مَنْ قَدْ صَار فِي الغُرْبِ جَانِبُهُ

---

[1]–أحمد أبو زيد : الاغتراب، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج10، العدد 1 ، أبريل– مايو– يونيو– ، 1979، ص:4.

[2]–ابن منظور محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين : لسان العرب، تح : عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، مصر، مج5، دط ، دت، مادة غربَ ، ص: 3225.

[3]– الزمخشري جار الله محمود بن عمر: الفائق في غريب الحديث، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي وعيسى البابي الحلبي وشركاه، ج3، ط2، د ت، ص:58.

[4]– المتلمس الضبعي : الديوان، رواية الأثرم، وأبي عبيدة عن الأصمعي، تح: حسن كامل الصيرفي، جامعة الدول العربية، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، مصر، د ط، 1970، ص:267.

وقول زهير بن أبي سُلمى[1]:

وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسِبُ عَدُوًّا صَدِيقُهُ وَمَنْ لَـــمْ يُكْرِمْ نَفْسَهُ لَـــــمْ يُكَرَّمْ

وَالاغْتِرَابُ وَالتَغَرُّبُ كَذَلِكَ، تَقُولُ مِنْهُ تَغَرَّبٌ، وَاغْتَرَبَ، وَقَدْ غَرَّبَهُ الدَّهْرُ. وَرَجُلٌ غُرُبُ بِضَمِّ الغِينِ وَالرَاءِ، وَغَرِيبٌ: بَعِيدٌ عَنْ وَطَنِهِ، الجَمْعُ غُرَبَاءٌ، وَالأُنْثَى غَرِيبَةٌ.

والمعنى نفسه يورده "**الفيروزبادي**" في قاموسه "المحيط":«...**الغَرْبُ وَالمَغْرِبُ وَالذَّهَابُ والتَّنَحِي، وَأَوَّلُ الشَيْءِ، وَحِدُّهُ كَغُرَابَةَ وَالنَّوَى وَالبُعْدُ كَالغَرْبَةِ، وَقَدْ تَغَّرَبَ، وَبِالضّمِ: النُزُوحُ عَنِ الوَطَنِ كَالغُرْبَةِ وَالاغْتِرَابِ وَالتَغَرُّبِ...**» [2].

أما في معجم "العين" " **للفراهيدي**":« **وَالغُرْبَةُ: الاغْتِرابُ عن الوطن وَغَرَبَ فلان عنّا يَغْرُبُ غَرْبًا أي تنحى، وَأَغْرَبَتْهُ وَغَرَّبَتْهُ أي نحَّيتَه، وَالغُرْبَةُ: النوى والبعد: يقال: شَرَقَت بهم غُرْبَةُ النّوى** »[3]. و من ثمة فالاغتراب ابتعاد عن الوطن و مغادرته سواء طوعًا أو قسرًا .

أما في الحديث أنّ النبي صلى الله عليه وسلم سُئل من الغرباء، فقال: « **الذين يحيون ما أمات النّاس من سنّتي** » [4]، وفي حديث آخر قال الرسول صلى الله عليه وسلم « **إنّ الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء** » [5]؛ أي إنه كان أول الأمر -الإسلام- كالغريب الوحيد، لقلّة المسلمين وسيعود كما كان أول الأمر -غريبً ا- لقلة المسلمين حينها فيصيرون كالغرباء، فطوبى للغُرباء، أي الجنة لهم.

1- زهير بن أبي سُلمى: الديوان، اعتنى به وشرحه: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 2، 2005 ص:70.

2- الفيروزبادي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي: قاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 8، 2005، مادة غرب ص: 119.

3-الخليل بن أحمد الفراهيدي : كتاب العين ، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مطابع الرسالة، الكويت ، ج4 دط،1980 ، مادة غرب، ص: 410.

4- ابن القيم الجوزية: مدارج السالكين، تح: محمد المعتصم بالها البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،ج3، ط7 2003، ص: 185.

5- المرجع نفسه، ص: 184.

2.1.1 في اللغـة الأجنبيــة :

تترجم الكلمة العربية اغتراب بكلمات أجنبية مثل الكلمة الإنجليزية Alienation والكلمة الفرنسية Aliénation، وفي الألمانية Entfremdung، وقد اشتقت من الكلمة اللاتينية Aliénatio وهي اسم مستمد من الفعل اللاتيني Alienare بمعنى: ينقل أو يحوّل يسلِّم أو يبعد، بمعنى نقل ملكية شيء ما إلى آخر.

وهذا الفعل Alienare مأخوذ بدوره من الكلمة اللاتينية Alionus ، أي الانتماء إلى شخص آخر. وهي الأخرى مشتقة في النهاية من الكلمة Alius الذي يدل على الآخر سواء كاسمٍ أو صفة[1].

فلفظة اغتراب تعني:« **سلب الشيء من شخص وتحـويله إلى شخص آخـــر**»[2].

ومن هنا كان الاغتراب– سواء في المعاجم العربية أو الأجنبية– يدور ويتعلَّق إمّا بــ:

*انتقال الملكية من شخص إلى آخر (Alienation) :

*النوى والبُعد

*الإنسلاخ والإنفصال عن الآخر.

1-2اصطــلاحــا :

الاغتراب مصطلح زئبقي شديد العمق، عريق الأصل، غامض وذلك راجع إلى تعدد مجالات استخدامه، فنجده في الفلسفة، الدين، الاقتصاد، القانون، علم النفس، علم الاجتماع...إلخ. مما جعل بعض الباحثين على غرار " **بول ريكو** " الذي وصفه بأنه مصطلح يعاني من « **زَخَـمٍ مَعْنَوِي أَوْ تَعَــدُد مَعَانِي**»[3].

---

[1]–محمود رجب : الاغتراب–سيرة مصطلح–، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1986، ص: 31–32.

[2]– الهادي محمد بوطارن: الاغتراب في الشعر العربي الرومانسي(إيليا أبو ماضي، إبراهيم ناجي، أبي القاسم الشابي) دار الكتب الحديث، القاهرة، مصر، دط، 2010، ص:25.

[3]– مريامة بريش، نادية مصطفى الزقاي يوب : الاغتراب –مفهوم ودلالات –، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية الجزائر ، العدد18 ، مارس ، 2015، ص:198.

حملت آيات وسور من الذكر الحكيم على معنى "الاغتراب"، وهذا ما يؤكد أن القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان ؛ إذ يعد خروج "**آدم**" من الجنة وهبوطه إلى الأرض أول اغتراب عرفته البشرية؛ حين عصاه (اغتراب الإنسان عن الله) فبخروجه من الجنة اغترب "**آدم**" في أرض موحشة(اغتراب مكاني)، فبعد أن كادت مشاعر اليأس والحزن والخوف والقلق تستولي على "**آدم**" و"**حواء**"، تاب "**آدم**" إلى المولى عزّ وجل، قال تعالى: ﴿ **فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** ﴾ **(سورة البقرة، الآية:37)** لتنتفي بذلك مشاعر ا لاغتراب، لأنّ الإنسان كلّما اقترب من الله عزّ وجل ازداد إيمانه واطمئن قلبه، مصداقا لقوله تعالى:﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب**﴾ **(سورة الرعد، الآية : 28).**

ولم يكن الأنبياء والرسل– عليهم أزكى الصلوات– بمنأى عن ا لاغتراب؛ حين حملوا على عاتقهم واجب تبليغ الرسالة فهذا "**موسى**"– عليه السلام– خرج من "مصر" هاربا من ظلم "**فرعون**" وأتباعه فناجى ربّه قائلا: يا رب إني وحيد مريض غريب فناداه ربُه « **يا موسى الوحيد من ليس له مثلي أنيس والمريض من ليس له مثلي طبيب والغريب من ليس بيني وبينهُ معاملة** »[1].

وكذا اغتراب النبي –صل الله عليه وسلم – في مكة؛ حيث تعرّض لاستنكار أهل وطنه ومحاربتهم لأنه جاء بالهداية الصحيحة التي تُخالف م عتقداتهم الوثنية الضالة، فخرج إلى "الطائف" متجنبًا اضطهادهم له، فلما اشتد به الألم توجه إلى ربه بدعائه الذي فاض بمشاعر ا لاغتراب، فيقول: «**اللَّهُمَ إِلَيْكَ أَشْكُو ضُعْفَ قوّتي وقلّة حيلتي وهواني**

[1]–ابن القيم الجوزية : مدارج السالكين، ص: 371.

على الناس أنت أرحم الراحمين أنت ربّ المستضعفين وأنت ربّي ، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتهجّمني ،أم إلى عدّو ملّكته أمري؟ »[1].

ومن هنا كان اغتراب الأنبياء من أشد أنواع ا لاغتراب وقعًا؛ إذ حملوا على عاتقهم مهمة وضع أقوامهم وإرشادهم إلى جادة الصواب، وهو أمر جلل، إذ من الصعب إدراك ذلك في ظل كونها من الأعراف المتأصلة في المجتمعات.

كما يجعل ديننا الحنيف عبادة الله ثلاث درجات متفاوتة، أعلاها درجة العلماء تليها درجة المؤمنين في حين تعدّ درجة المسلمين أدناها كلها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **قَالَتْ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلُ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَهَ غَفُورٌ رَحِيمْ** ﴾ **(سورة الحُجرات الآية : 14)** وقوله تعالى:﴿ **شَهِدَ اللهُ أَنَهُ لاَ إِلَهَ إِلاّ هُوَ وَالمَلاَئِكَة وَأَوْلُوا العِلْم قَائِمًا بِالقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾ **(سورة آل عُمران ،الآية:18).**

فإذا كان الإسلام إقرارًا باللسان وعملاً بالجوارح، فإنّ الإيمان– فضلا عن ذلك– تصديق بالحس الباطن، أما العلم فهو يفوق ذلك كله؛ بكونه إعمالا للفكر والعقل، ومن هنا تصنيف عباد الله إلى ثلاثة درجات ، يمكن القول بثلاث درجات من الاغتراب[2]:

***اغتراب المسلم بين النّاس** : فقل ـة المسلمي ن وانفرادهم بين النّاس بالإذعان والانقيـاد سمـوا "غـربـاء".

***اغتراب المؤمن بين المسلمين** : ولقلّ ـة المؤمني ن بي ن المسلمين وانفرادهم بالتصديق الصحيح سمـوا "غربـاء".

---

[1]–محمد الغزالي : فقه السيرة، خرّج أحاديث الكتاب: محمد ناصر الدين الألباني، دار الكتب الحديثة، ط6، 1965 ص: 131.

[2]– فتح الله خليف : الاغتراب في الإسلام، مجلة عالم الفكر، مج 10، العدد 1، الكويت ، أبريل–مايو– يونيو 1979 ص: 92.

***اغتراب العالم بين المؤمنين** : ولقلّة العلماء بين المؤمنين وانفرادهم بأعمال الفكر والعقل والتأمل في ملكوت الله قبل إصدار الأحكام سموا هم الآخرين "بالغرباء" لذلك يعرفهم "**الهروي الأنصاري** " بأنه « **أمر يشار به إلى الانفراد على الأكفاء** »[1] ؛ بمعنى أن أي فرد تمايز بصفة أو ف ع دون غيره من أبناء مجتمعه يعتبر بالضرورة غريب بينهم وعنهم؛ أمّا الإنفراد الذي تحدث عنه " **الهروي**" فيقترن في الأساس بثلاثة أشكال من الاغتراب: غُربة الأجسام، غُربة الأفعال، غُربة الهمّة.

كما يدعو الإسلام في مجمله إلى الاغتراب بمعناه الإيجابي ؛ على اعتبار أنّ الدنيا محطة عبور لا أكثر إلى دار القرار والبقاء وأن لا يتشبثوا بالدنيا، ومن هذا قوله عزّ وجل: ﴿ **يا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ** ﴾ **(سورة غافر، الآية: 39).**

كما ورد الاغتراب في عديد الأحاديث النبوية الشريفة –على الرغم ما ي عتريها من صحة وضعف – كقول الرّسول –صل الله عليه وسلم – في وصف اغتراب الإسلام والمسلمين: « **إنّ الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء** »[2].

فقد كان الإسلام غريبا في أوّل الدعوة أين لم يلاق الإقبال والنصرة في بداياته، حيث وقف الأهل والأقارب ضد المسلمين الذين اعتنقوه، فعانوا الاضطهاد والتنكر علانية لكنهم صبروا على ذلك، وما زاد من اغترابهم حين أخرجوهم من ديارهم وأبيحت أموالهم وأُحلّت أع ـراض ـهم.

عرف العرب قبل اتصالهم بالحضارات الغربية بزمن بعيد، –خاصة في كتب التراث– "الاغتراب" : ك كتاب "أدب الغُرباء" "**لأبي الفرج الأصبهاني** "، و"رسائل" "**ابن باجة**"، وكذا "**ابن حيان التوحيدي**" في كتابه: "الإشارات الإلهية"...إلخ .

---

[1]–فتح الله خليف :الاغتراب في الإسلام، ص: 93.

[2]–أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم، اعتنى به: أبو قتيبة محمد الفاريابي: دار طيبة، الرياض د ط ،2006، ص: 77.

تحدث "**الأصبهاني**": في كتابه عن الاغتراب فيقول: « **وقد جمعت في هذا الكتاب ما وقع إلي وعرفته وسمعت به وشاهدته، من أخبار من قال شعرًا في غربة، ونطق عمّا به من كُربة، وأعلن الشكوى بوجده إلى كل متشرد عن أوطانه، و نازح الدار عن إخوانه** » [1]. فالغريب حسبُه هو ذلك المشرّد في وطنه والنازح عنه، البعيد عن داره وإخوانــه.

كما يشير في موضوع آخر من مؤلفه إلى أنَّ: « **فقد الأحبّة في الأوطان غُربة فكيف إذا اجتمعت وفقد الأحبة** »[2].

أما "**التوحيدي**" فله رأي متميز في الاغتراب، إذ يقول فيه:« **فأين أنت من قريب قد طالت غُربته في وطنه، وقلّ حظهُ ونصيهُ من حبيبه وسكن ه؟! وأين أنت من غريب لا سبيل له إلى الأوطان، ولا طاقة به على الاستيطان** »[3]."**فالتوحيدي**" يعدّ من أبرز المفكرين الذين عانوا من ا لاغتراب في عصره فبلغت شدة ا لاغتراب أن وصل به الحد إلى غاية إحراق مؤلفاته، لذلك كان من مظاهره انفصال الفرد عن ذاتهِ وعن مجتمعه وقد يكون في بعض الأحيان معًا(ذات ومجتمع).

كما يشير "**التوحيدي**" في موضع آخر في مؤلفه "الإشارات الإلهية " إلى أنّ الغريب هو« **من غربت شمس جماله، واغترب عن حبيبه وعُزّاله، وأغرب في أقواله وأ فعاله وغرّب في إدباره وإقباله واستغرب في طِ مره وسربلله. يا هذا ! الغريُب من نطق وصفه بالمحنة بعد المحنة ودلّ عُنوانُه على الفتنة عُقيب الفتنة، وبانت حقيقته فيه الفينة حدًّ**

---

[1]– أبو الفرج الأصبهاني: أدب الغرباء، نشره :صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 1972 ص :21.

[2]–المرجع نفسه، ص: 32.

[3]–أبو حيّان التوحيدي: الإشارات الإلهية، تح: عبد الرحمن بدوي، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، مصر، ج1، د ط 1954 ص: 79.

الفينة. الغريبُ من إن حضرَ كان غائبا، وإن غابَ كان حاضرًا . الغريبُ من إن رأيتهُ لم تعرفه وإن لم تره لم تستعرفهُ»[1].

فالاغتراب والغريب –حسبه– هو ذاك الشخص الذي يكون وجوده كعدمه، لا يقدم ولا يؤخر، ولا يؤخذ برأيه في تصريفِ الأمور وتدبيره.

ومن ثم كان اغتراب "**التوحيدي**" نتيجة حتمية لواقعٍ لم يوفر له الحياة الكريمة والعيش الرّغيد فذاق فيه كلّ ألوان الفقر والحاجة والعوز.

من هنا كان المعنى الديني أوّل معنى ورد فيه الاغتراب كفعل وكفكرة، ألا وهو « **انفصال الإنسان عن الله بالمعصية والخطيئة** »[2].

كما نجده أيضًا في معان أخرى، نذكر منها:

المعنى القانوني: ويشير إلى « **نقل أو تحويل أو تسليم أي شيء إلى شخص آخر**» [3] فيصبح الشيء المنقول مغتربا عن مالكه الأصلي بدخوله في حيازة المالك الجديد.

المعنى الاجتماعي: ويقصد به« **عملية اجتماعية وفي نفس الوقت حالة نفسية تنتج من خلال المشاعر الكامنة للعزلة والعجز**» [4]، لذلك كان المغترب نفسيا بالضرورة مغتربا اجتماعيا، وهو كما يسميه "**محمود رجب** " ب: المعنى النفسي الاجتماعي ؛ حيث عرّفه بقوله: « **متعلق بما يحدث للفرد من اضطرابات نفسية وعقلية، وما يستشعره من غُربةٍ في العالم وفتور أو جفاء في علاقتهِ بالآخرين**» [5] فيترتب عنه" **عجز** " وعدم قدرة الفرد على إقامة ومدّ الاتصال مع الآخر، مما يؤدي إلى عزلة اجتماعية.

---

[1]– أبو حيّان التوحيدي: الإشارات الإلهية، ص: 80–81.

[2]– محمود رجب : الاغتراب– سيرة مصطلح– ، ص: 38.

[3]– المرجع نفسه، ص: 32.

[4]–مريامة بريش: الاغتراب– مفهوم ودلالات– ، ص:202.

[5]– محمود رجب : الاغتراب –سيرة مصطلح– ،ص: 35.

المعنى الطبي: تطرّق الناقد "**مصطفى حسيبة**" في "معجمه الفلسفي" إلى أنّ الاغتراب من الناحية الطبية هو ذلك : « **الاضطراب العقلي الذي يجعل الإنسان غريبًا عن ذاته ومجتمعه**»[1] وغالبًا ما يُطلق عليه تسمية الشخص المجنون، وهو ما يقابلها في اللغة الأجنبية " Aliéné ".

المعنى الأدبي: جاء في "المعجم الأدبي" لصاحبه "**جبور عبد النور** " أنّ ا لاغتراب : « **عاطفة تستولي على المرء وبخاصة ع لى الفنانين، فيعيشون في قلق وكآبة لشعورهم بالبعد عمّا يهوون، أو يرغبون فيه، وقد تبرز هذه العاطفة في شكلين اثنين : إمّا في حالة الابتعاد عن ملاعب الفتوة، وديار الأحبة، فيعبر الفنان عن مشاعره بصور وأخلية ومعانٍ تختلف جودةً وعُمقًا باختلاف الشخصية المبتكرة، أي في حالة الشعور بأنّ العالم كله هو سجن، أقحم فيه الفنّان مرغمًا فكبّله بقيوده... فيحس بأنه غريب عـــن مواطنيـه وأهلـه...**»[2].

فالمعنى الأدبي في مجمله يقتصر على" المبدع "و" المثقف " دون غيره فالاغتراب هو ما يدفع بالفنان إلى تحقيق ذاته من خلال إبداعاته التي تعتبر وسيلة لتفريغ وتعويـض مكبوتـلتـه.

كما يعرّف الباحث: "**إيديث كريزويل** " في مؤلفه "عصر البنيوية" أنّه –ا لاغتراب– :« **حالة نفسية اجتماعية تسيطر على الفرد فتجعله غريباً وبعيدًا عن واقعه الاجتماعي. وينطوي المصطلح على مفاهيم متعددة بتعدد الفلاسفة الذين ألحّوا على استخدامه خصوصا "هيجل" و "فرويد"، و"ماركس" الذي ربط الاغتراب بتقسيم العمل والتوزيع غيـر**

[1]– مصطفى حسيبة : المعجم الفلسفي، دار أسامة، عمّان، الأردن، ط1، 2009، ص: 75.

[2]–جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص: 186.

المتكافئ للسلطة والأرباح » [1] فالاغتراب- حسبهُ- يعبر عن عدم الرضا، ورفض ما هو سائد ومحاربته وانعزال الفرد عن المجتمع وسلوكه مسلك الثورة والتمرد والاحتجاج.

2 . سيـــرة المصطلـــــح:

إنّ الحديث عن ماهية الاغتراب يقودنا بادئ الأمر-وبكل روح علمية- إلى الإقرار بفضل سبق الغربيين في تناولها ممثلة بدراسات كل من: "**سقراط**"، "**أرسطو**" و "**أفلوطين**" ونظريته عن الفيض، لتمتد بعد ذلك إلى باقي العصور لكن هذا لا ينفي البتة اهتمام العربي بظاهرة الاغتراب، ولعلّ "**ابن حيان التوحيدي**" و "**ابن باجة**" لخير دليل عن ذلك.

تعرّض الباحث والناقد " **محمود رجب** " لسيرة المصطلح، والمسار الذي سلكه حتى وصل إلى ما هو عليه الآن من شيوع وانتشار في الحياة الثقافية المعاصرة فقسمها تبعًا لهذلك إلى ثلاثة مراحل هي:

2 . 1: مرحلـــة ما قبـــل هيجـــل:

تشير بعض الدراسات إلى أنّ الجذور الأولى للاغتراب هي جذور يونانية؛ إذ يُع بتو " **أفلوطين** " أول من أسس لفكرة ا لاغتراب- بوعي- حين قام في جمهوريته؛ بتقسيم العالم إلى عالم المُثل (المطلق) وعالم المحسوسات والموجودات (عالم الصور المشوهة عما هو موجود في عالم المثل) ، ضف إلى ذلك " **سقراط** " من خلال عبارته الشهير« **اعرف نفسك** » إذ تحمل نموذجًا حقيقيا لاغتراب الإنسان.

جاء ذكر كلمة " ا لاغتراب " في تراث العصور الوسطى الفكري « **وإن كان طريقة عرضية غير مقصودة** »[2]، فقد كانت الكلمة اللاتينية **Alienation** ترد في سياقات عديدة وبمعان مختلفة: إمّا في سياق قانوني، وسياق نفسي اجتماعي وآخر ديني.

---

[1]- إيديث كريزويل: تعريف بالمصطلحات الأساسية الواردة في كتاب عصر " البنيوية " ، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، اللكويت، ط1، 1993، ص: 369.

[2]- محمود رجب: الاغتراب- سيرة مصطلح- ، ص: 10.

أمّا في العصور الحديثة، فكان اهتمام أصحاب نظرية العقد الاجتماعي حول مسألة انتقال الإنسان من حالة الطبيعة إلى حالة الاجتماع الفردي البشري " الحالة الاجتماعية ".

***الاغتراب عند جون جاك روسو 1712-1778 Rousseau:**

يعتبر الفرنسي " **جون جاك روسو** " أوّل من استعمل لفظة الاغتراب في شكل صريح في مؤلفه "العقد الاجتماعي "؛ إذ يعدّ « **أوّل من استخدم تعبير الاغتراب في ثقافة الغرب؛ فقد رأى في تولي بعض النوّاب تمثيل الشعب أكذوبة كبيرة لأنّه بهذه الطريقة لا يُمْكِن للشَّعْبِ أَنْ يُمَارِسَ سيادتَهُ بِنَفْسِهِ، وَيَبْدَأ بِالانْعِزَال دَاخِلَ وَطَنِه وَيَشْعُرَ بِالغُرْبَة** » [1]. ومن هنا كان الاغتراب عند "**روسو**" ذو معنيين؛ فيقول في هـــذا الصدد:« **إنّ الاغتراب معناه التسليم أو البيع... فالإنسان الذي يَجْعَلُ مِنْ نَفْسِهِ عَبْدَا لآخَرُ إنسان لا يُسَلِّمُ نَفْسَهُ، وَإِنَّمَا هُوَ بِالأَحْرَى يَبِيعُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِ بَقَائِهِ عَلَى الأَقَلِّ** »[2].

إن المتمعن في قول "**روسو**" حول ا لاغتراب، نجده يحمل بين طياته صنفين من الاغتراب : اغتراب ايجابي؛ و هو بأن يسلّم الإنسان ذاته إلى الكل، وأن يضحي بها في سبيل هدف نبيل، وكبير كقيام المجتمع أو دفاعًا عن الوطن... إلخ وهذا ما يصطلح عليه بالاغتراب الطوعي، أمّا الاغتراب القسري (السلبي) بأن يبيع الإنسان نفسهُ كأنه سلعة أو شيء من أجل الحفاظ على بقائه.

2-2 مرحلـــة هيجـــل:

على الرغم من استخدام كلمة " ا لاغتراب " في فلسفات السابقين " **لهيجل** " إلا أنه يُعتبر من الفلاسفة الذين استخدموا هذه اللفظة « **استخداما منهجيًا مقصودًا ومفصلاً** »[3] أين تحوّل الاغتراب عنده من مجرّد فكرة وإشكال إلى مصطلح فني، حتى أطلق عليه تسمية " أبو الاغتراب " أو عرّاب الاغتراب **GOD FATHER OF ALIENATION**.

---

[1]-نبيل راغب: موسوعة الفكر الأدبي، دار غريب، القاهرة، مصر، د ط، 2002، ص: 56.

[2]- محمود رجب: الاغتراب- سيرة مصطلح- ، ص: 58.

[3]- المرجع نفسه ، ص :09.

وهذا ما يتجلى من خلال مؤلفه "ظاهريات الروح" **Phenomenology Of Mind** 1807م في باب سماه بـ : "الروح المغترب عن ذاته ": حضارة (ثقافة) حيث أصبح الاغتراب من مجرد فكرة ترد في مؤلفات هذا وذاك إلى مصطلح فني ومفهوم دقيق يُطلق على قصـــدٍ مقصـودٍ[1].

الاغتراب عند "**هيجل**" حسب "**جميل صليبا** " هو: « **أن يضيع الإنسان شخصيته الأولى ويصير إنسانا آخر أغنى من الأول** » [2]، ويعرفه في موضع آخر "**حليم بركات**" في كتابه : "الاغتراب في الثقافة العربية – متاهات الإنسان بين الحلم والواقع– " أنه: « **حالة اللاقدرة أو العجز التي يعانيها الإنسان عندما يفقد سيطرته على مخلوقاته ومنتجاته وممتلكاته ، فتوظف لصالح غيره بدل أن يسطو هو عليها لصالحه الخاص** »[3]، ومن هنا– حسب "**حليم بركات**"– يفقد الفرد القدرة على تقرير مصيره والتأثير في مجرى الأحداث التاريخية ، الأمر الذي يوحي من الوهلة الأولى

ازدواجية المعنى عند "**هيجل**"؛ فالمعنى الإبداعي الإيجابي هو:« **تخارج الروح وتجليه على نحو إبداعي في الطبيعة أولا وفي أضرب الحضارة المختلفة بعد ذلك...**» [4].

وهو ما يعني في المقابـل باللغة الأجنبيـة **Entaeusserung**.

---

[1]– – محمود رجب: الاغتراب– سيرة مصطلح– ، ص: 13.

[2]– جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية ، دار الكتاب العالمي، بيروت، لبنان ج1 ، د ط، 1994، ص: 765.

[3]– حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية – متاهات الإنسان بين الحلم والواقع– ، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص:37.

[4]– محمود رجب : الاغتراب– سيرة مصطلح– ، ص :15.

في حين أن المعنى السلبي **Entfremdung** فهو« **الذي يمثل في عدم قدرة الذات على التعرّف على ذاتها في مخلوقاتها من الأشياء والموضوعات** »[1].

وهذا ما يوضحه لنا المخطط التالي:

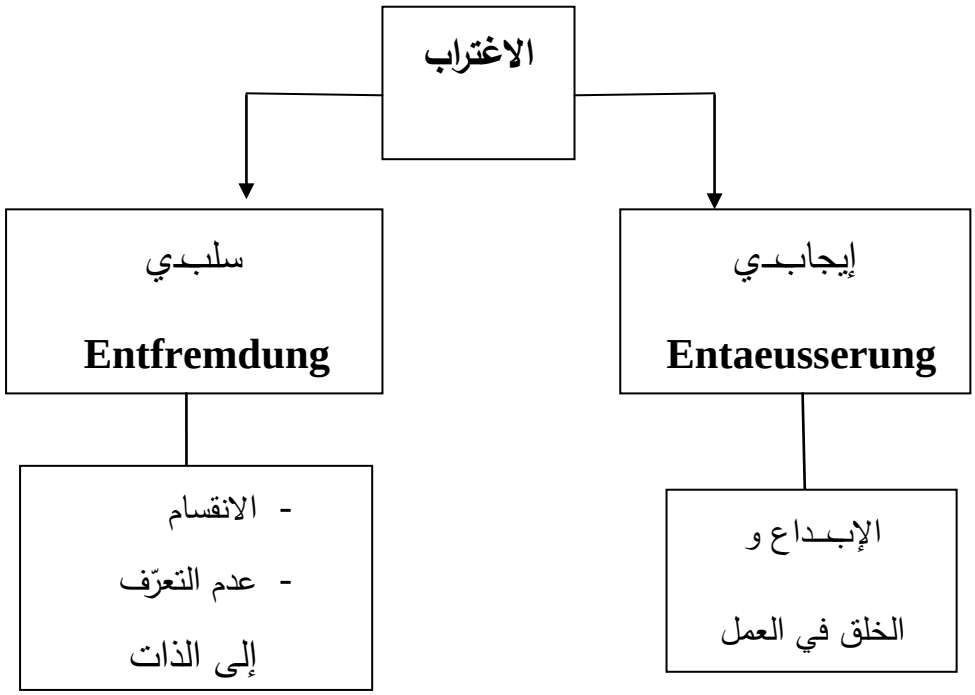

أمّا عن سبيل قهر ا لاغتراب عند "**هيجل**" يكون بأن يندمج الفردُ في البنية الاجتماعية وذلك باغترابه عن ذاته والانفصال عنها، وبالتالي يتسنى له أن ينسجم مع الكلية و يتوافق معها « **وعليه يحدث اتحاد الفرد بالجوهر الاجتماعي نتيجة لتنازله عن فرديته** » [2]

وهذا حسب رأي الناقد "**قيس النوري**".

1-محمود رجب: الاغتراب- سيرة مصطلح- ، ص : 15 .

2- قيس النوري: الاغتراب- اصطلاحا ومفهوما وواقعا-، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج10، العدد1 ، أبريل- مايو- يونيو- ، 1979، ص: 21.

3 ـ 2: مرحلـــة ما بعـــد هيجـــل:

*الاغتراب الديني عند فيورباخ:1804 ـ1872 Fieurbach:

ناقش "**فيورباخ**"–وهو أحد تلاميذ "**هيجل**"– قضية الاغتراب من منظور ديني فهو يرى بأنّ «**الاغتراب الديني هو أساس كل اغتراب فلسفي أو اجتماعي، نفسي أو بدني** »[1] ؛ فإذا كان الاغتراب هو تحول الأنا إلى آخر غريب فإنّ هذا التحول يحدث أساسا في تحوّل الإنسان إلى الله، قبل أن يتحول الإنسان إلى العمل أو إلى مؤسسة ونظام، لذلك فالدين هو وعي الإنسان بذاته على نحو غير مباشر [2] ؛ ومن ثم فالإنسان في نظره بحاجة إلى شَريعة الدولة الفعلية الإنسانية، وليس إلى شريعة الدولة المسيحية. أمّا عن سبيل دحض هذا النوع من الاغتراب فلا يكون إلّا باسترداده للكنوز التي فقدها وبإعادة تكامل الشخصية المنقسمة من خلال الديانة الإنسانية.

*الاغتراب عند كارل ماركس 1818ـ 1883 م Marx:

عاب "**كارل ماركس**" على "**هيجل**"، حين اعتبر أن التخارج إنما هو اغتراب ؛ حيث يرى "**ماركس**" أنّ : «**التخارج أو التمو ضع هو الجانب الإيجابي للعمل نفسه وليس للاغتراب، أمّا الاغتراب عنده فهو الجانب السلبي للعمل**»[3].

خلص "**ماركس**" من خلال مؤلفه "المخطوطات الاقتصادية والفلسفية " التي كتبها سنة 1844، إلى أن اغتراب الإنسان مرده إلى تلك الظروف الاقتصادية والاجتماعية؛ فالعامل حسبه هو المغترب الأساسي في عملية الإنتاج، والمشغل لهذا الإنتاج مغترب ثانوي فالعامل في إنتاجه لسلعة ما يقوم رب العمل باستغلال هذا الأخير الأمر الذي يزيد

---

[1]–حسن حنفي : الاغتراب الديني عند فيورباخ، مجلة عالم الفكر، ص: 44.

[2]–حسن حمّاد: الإنسان المغترب عند إريك فروم، دار الكلمة، القاهرة، مصر، دط، 2005، ص: 90.

[3]– سهير عبد السلام: مفهوم الاغتراب عند هربرت ماركيوز، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، 2003، ص: 30.

في ثراءه، وهذا ما يعمل على توسيع الفراغ الموجود بين الطبقة "البروليتاري ا" والطبقة الرأسماليـة.

لذلك نجد "**جون شار**" يميز بين أربعة أشكال من الاغتراب عند "**ماركس**"[1]:

*اغتراب العامل عن ناتج عمله.

* اغتراب العامل عــن عملـه.

* اغتراب العامل عـن نفســه.

* اغتراب العامل عن الآخرين.

أمّا عن سبيل قهر الاغتراب عند "**ماركس**"، يكون بالقضاء على المجتمع الرأسمالي وذلك بإحداث جملة من التغييرات على مستوى بنية الرأسمالية، القائمة على الملكية الخاصة والفردية لوسائل الإنتاج، وتغيير الجوانب الاقتصادية والاجتماعية عن طريق إقامة مجتمع اشتراكي يقوم على أساس الملكية الاجتماعية لوسائل الإنتاج، وبهذا ينتفي شعور الفرد بالاغتراب. وهذا الفكر الاشتراكي هو ما تبنته بعض الدول العربية فـي وقـت لاحـق.

*الاغتراب في منظور علم النفس وعلم الاجتماع:

تعددت الدراسات التي تناولت موضوع الاغتراب كالفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس واتسعت بحيث اتخذ–الاغتراب– دلالات سيكولوجية وسوسيولوجية.

أ . من منظــور علـم الاجتمــاع:

لقد وجد الاغتراب كمصطلح منفـذًا إلى العلوم الإنسانية والاجتماعية وهذا ما تجسد من خلال إسهامات روّاد علم الاجتماع أمثال :" **دور كايم**" " **فيبر**" و"**كارل ماركس**" أين حوّل هذا الأخير الاغتراب من مجرّد مصطلح ومفهوم فلسفي إلى مفهوم اجتماعي اقتصـادي.

[1]– حسن حمّاد: الإنسان المغترب عند إريك فروم، ص: 92.

يُعرّف "**كارل ماركس**" الاغتراب بأنّه: « **عملية اجتماعية وفي نفس الوقت حالة نفسية تنتج من خلال المشاعر الكامنة للعزلة والعجز**» [1].فقد جعل "**ماركس**" الاغتراب متعلق بالحالـة النفسيــة للفرد التي تنتـج لنــا عـزلـة و عجـــزا.

كما توصل "**ماركس**" إلى تحديد أربعـة جوانـب للاغتـراب [2]:

*اغتراب العامل في علاقته بمنتجاته.

*اغتـراب العامــل عـــن عملـــــه.

*اغتراب العامل عن المجتمع الرأسمالي و عن الطبيعة التي هو جزء منها وكما هي جزء منه ومن الوعي الإنساني.

*اغتراب الإنسان في علاقاته مع الآخر.

*إميل دور كايم: Durkheiem(1858ـ1917):

يرى "**دوركايم**" أن ا لاغتراب ما هو إلا نتيجة لظروف الأنوميا؛ وهي عنده تعني « **حالة تدهور المعايير التي تضبط العلاقات الاجتماعية، فتنشأ عن ذلك أزمات حادة بين عدّة فئات متنافسة أو متناحرة، ما يهدد الإحساس بأهمية التضحية في سبيل المجموع،إذ تستعمل الفئات القوية وسائل غير عادلة في فرض إرادتها على الفئات الضعيفة، ما يهدد التماسك الاجتماعي بالوصول إلى درجة التفسخ والنزاع**»[3].

وهو ما اصطلح عليه الأمريكي "**سيمان ملڤن**" باللامعيارية **Normlessness**.

كما تطرق "**دوركايم**" إلى مفهوم الاغتراب من خلال دراسته للانتحار الذي صنفه

---

[1]– مريامة بريش،نادية مصطفى الزقاي يوب: الإغتراب– مفهوم ودلالات– ، ص:202.

[2]–حليم بركات: الإغتراب في الثقافة العربية، ص: 40.

[3]– المرجع نفسه، ص: 44.

إلى ثلاثة أنواع هي: « **الأنانـي، والايثاري، والانتحـار الأنـومـــي...**»[1].

"**فللانتحار الأناني**" ناتج عن انعدام تكامل الفرد مع المجتمع، إلى درجة شعوره بالعجز عن الاستجابة لأي سلطة غير تلك التي تصدر عن نفسه، مما يؤدي إلى الانعزال عن المجتمع فيلجأ إلى الانتحـــار.

أما "**الايثـاري**" فناتج عن سيطرة المجتمع على الفرد عن طريق العادات والتقاليد والأعراف فتصبح حياته قليلة الأهمية بالنسبة له، فينتحر هذا الفرد، أمّا النوع الثالث فينشأ نتيجة اختلال التوافق بين الفرد والمجتمع كنتيجة لانهيار المعايير التي كانت تنظم سلوكه.

ويقرّ "**دور كايم**" أن سعادة الإنسان لا تتحقق إلا إذا تناسبت حاجاته مع الوسائل المتاحة وبما أنّ الحاجات الإنسانية هي حاجات اجتماعية موجودة في مجتمع تنافسي فلا حدود لها حيث أنه كلّما أشبعت حاجة تظهر له حاجة أخرى، وليشعر الإنسان بالسعادة عليه الحد منها وبما أنه عاجز عن وضع حدّ لها بنفسه فإنه بحاجة إلى قوة خارجية وهذه القوى الخارجية عند "**دوركايم**" هي الأخلاق؛ التي تقوم بالدور الذي عجز عنه، وبوجوده هذه الحدود تستثار الانفعالات. وداخل هذه الحدود يكون من الصعب التحكم في رغبات الإنسان بوسائل القوة الإجبارية أو فقط بالمعايير الاجتماعية، ونتيجة للخلل الوظيفي للمعايير الاجتماعية « **في عدم قدرتها على ضبط الرغبات يجد الفرد نفسه غير قادر على التوافق مع التغيرات الاجتماعية ونتيجة لذلك يصبح مغتربا** »[2]؛ فيحدث قمع على مستوى الرغبات الفردية لتتوافق والعُرف الاجتماعي، فيحصل بأن يشعـر الفرد بألمٍ وإحباط اتجاه المجتمع مما يؤدي إلى الانطواء والتقوقع بعيد عن المجتمع فيحدث بذلك الاغتراب.

---

[1]– نسرين محمود الشرادقة: الإغتراب في شعر أمجد ناصر، عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن، ط1، 2013 ص: 28.

[2]–مريامة بريش، نادية مصطفى الزقاي يوب: الاغتراب– مفهوم ودلالات –، ص: 203.

ب ـ مـن منظـور علـم النفـس :

إن إسهامات علما الاجتماع مهدت الطريق لدخول ظاهرة الاغتراب في حقل علم النفس إذ يرى الكثير من علماء التحليل النفسي أمثال: "**فرويد**"، "**إريك فروم**"، "**سيمان ملفن**"...إلخ، أنّ الاغتراب :«**حالة نفسية يعاني أصحابها من الشعور بعدم الارتياح وعدم الاستقرار، والقلق والشعور بالضياع والعزلة، وعدم الفاعلية، والوحدة والتضاؤل**»[1].

*إيريـك فـروم Erich Fromm:

ركز "**إريك فروم**" على "الفرد" دون المجتمع كسبب في الاغتراب؛ أين يقر في كتابه "**المجتمع السوي**" **The Same Society** بأنّه « **نمط من الخبرة، من خلالها يرى الفرد نفسه كمغترب فهو يشعر أنه غريب عن نفسه، حيث لم ير ذاته أو يخبرها كمركز لعالمه،أو كناشئ أو خالق لأفعاله، ولكن أفعاله ومترتباتها تصبح لها السيادة، إنّه يُطيعُهـــا ويخضــع له ـا**»[2]؛ فاغتراب الذات–حسب "**فروم**"– يتحدد بمدى مستوى التعامل (الخبرة والتجربة) بين الفرد والمجتمع؛ فكلما كانت الخبرة أقل كان ا لاغتراب و الانفصال عن المجتمع أكبر، ويصبح بذلك الفرد منفصلا عن نفسه.

*سيغموند فرويـد Segman Freid:

يعد "**سيغموند فرويد**" من أبرز علماء النفس الذين ناقشوا ظاهرة ا لاغتراب باستخدام مصطلحات علمية دقيقة(الأنا، الهو، الأنا الأعلى)*.

يحدث الاغتراب حسب "**فرويد**" في حالة فشل " الأنا" في أداء وظيفة التوفيق بين مطالب "الأنا الأعلى"و" الهو"، إضافة إلى مطالب العالم المحيط، ويكون هذا الفشل بـ« **الشعـــور**

---

[1]–أحمد علي الفلاحي: الاغتراب في الشعر العربي– في القرن السابع الهجري– (دراسة اجتماعية نفسية)، دار غيداء عمان ، الأردن، ط1 ، 2013، ص: 23.

[2]–عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب، القاهرة، مصر، د ط، 2003، ص: 40.

*الأنا : يتمثل في الجانب الواعي من الشخصية ، الهو : الجانب الغرائزي في الانسان ، الأنا الأعلى : يرصد و يراقب تحركات الهو و يعمل على ضبطها(الضمير).

في بعض الأحوال تبدو أجزاء من أبداننا، بل عناصر من حياتنا النفسية من إدراكات وأفكار ومشاعر وكأنها غريبة وأجنبية ولا تؤلف جزءًا من الأنا»[1].وكنتيجة لهذا الكبت والقمع الذي يقوم به الأنا اتجاه بعض الدوافع الغريزية الموجودة على مستوى"الهو" والذي يطمح إلى إشباعها و إرضائها رغم أنها تتعارض مع المجتمع الذي يعيش فيه، فتأتي ردة الفعل سلبية تجاهه لأنه يشكل مصدر ألم وإحباط، فيكون الاحتماء من هذه المشاعر عن طريق الانفصال عنه وقطع الصلة به، فيصبح بذلك الأنا خاضع " للهو"المنفصل عن الواقع .

لذلك فإن ا لاغتراب عند "**فرويد**"–نتيجة حتمية– وبما أنه لا مجال لإشباع كل الغرائز فانه من الصعب أيضًا التوفيق بين الأهداف والمطالب وبين الغرائز أيضا.

*سيمان ملفن Melwin Seman :

ولعلّ ما عزز من تواجد الاغتراب في الحقول السيكولوجية حين حاول علماء النفس الاجتماعي "أجرأته وقياسه" فقالوا عنه أنه مفهوم متعدد المعاني ذو أبعاد مختلفة.

أشار "**ملفن**" إلى خمسة أبعادٍ للاغتراب هي[2]:

*العجز Powerlessness *غياب المعاني Meaninglessness

*فقدان المعايير Normlessness *العزلة Isolation

*الاغتراب الذاتي Self-Estrangement

ويشير الناقد "**حليم بركات**" في كتابه الموسوم بـ: "الاغتراب في الثقافة العربية" إلى أنه قبل أن يتوصل الأمريكي "**ملفن**" إلى تحديد الأبعاد الخمسة– السالفة الذكر– توصّل باحث

[1]–سيغموند فرويد: قلق في الحضارة، تر: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط2، 1979، ص:08.

[2]–عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص: 35.

أمريكي يدعى " **أنتوني ديفيدز**" (وهو باحث بجامعة هارفارد الأمريكية) من خلال بحثه إلى أنّ الاغتراب يتألف من خمسة توجهات متشابكة هي[1]:

*التركيز على الذاتية Egocentricity * التشاؤم Pessimism

*عدم الثقة Distrust * القلق Anxiety

*الاستياء Resentment

وبالنظر إلى ما توصل إليه كل من "**سيمان ملفن**" و"**آنتوني ديفيدز**"، أنّ ا لاغتراب كمصطلح وكظاهرة تختلف من باحث إلى آخر، تؤكد لنا ما قاله وأشار إليه الباحث "**بول ريكو**" أنه يعاني من" زخم معنوي" .

بعد هذه الوقفة عند معاني الاغتراب اللغوية والاصطلاحية ومراحل تطوره، يتضح لنا أن الاغتراب ظاهرة إنسانية ملازمة لوجود الإنسان، إذ ترتبط بمظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، ومختلف المشكلات المرتبطة بها حيث استطاع الأديب أو الفنان أن يعكسها في الأدب والعلم وبالتالي هي معادل موضوعي لواقع اجتماعي قاس ومر.

[1]– حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية، ص: 36.

3 ـ أنـواع الاغتـــراب:

الاغتراب هو ظاهرة إنسانية، لا ترتبط بمكان وزمان، فحيثما يوجد الإنسان يكون هناك اغتراب بمختلف صوره وأشكاله ومدلولاته. ولصعوبة التعامل مع هذا المصطلح فإنه يتعيّن تحديد أنواعه وصوره انطلاقا مما ورد في الدراسات السابقة، لذلك فالاغتراب أنـواع هـــي :

1.3 الاغتـراب الدينـــي:

ورد ا لاغتراب الدينـي فـي كافة الأديان علـى أنه انفِصَالٌ عن الله؛ فق ـد ج ـاء الاغتراب في الإسلام على هذه الصورة التي يوضحها حديث الرسول **-صلى الله عليه وسلّـم_** حيث قال:« **بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء وقيل م ـن الغرباء يا رسول الله قال :الذين يصلحون إذا فسد الناس»** [1]؛ والغرباء: -في هذا الحديث-هم فـئة قليلة من أهل الصلاح والتقوى استجابت للرسول صل الله عليه وسلم في مبتدأ الدعوة ونأت بنفسها عن الشبهات والشهوات.

وقد أوضح "**فتح الله خليف**" أن الاغتراب في الإسلام جاء في ثلاثة درجـات هـــي: اغتراب المسلم بين الناس، اغتراب المؤمن بين المؤمنين واغتراب العالم بين المؤمنين؛ وتعدّ غربة العلماء من أشد أنواع الاغتراب لقلتهم بين النّاسِ.

2.3 الاغتـراب السياسـي:

يقصد با لاغتراب السياسي « **شعور الفرد بالعجز...وكذلك الشعور بالعزلة عن المشاركة الحقيقية الفعالة في صنع القرارات المصيرية المتعلقة بمصالحه، واليأس من المستقبل...**» [2].بمعنى شعور الفرد بأنه ليس جزء من العملية السياسية، وأنّ صانعي هذه القرارات لا يضعون له اعتبارًا؛ فهو بذلك غائب عن الساحة السياسية وبالتالي يصبح

---

[1]-فتح الله خليف : الاغتراب في الإسلام، ص: 83.

[2]-عبد اللطيف محمد خليفة : دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص: 97.

أسيرًا لهذه الدولة؛ الأمر الذي يولّد نوعين من الهجرة هجرة إجبارية في بعض الأحيان وهجرة اختيارية في أحيان أخرى.

3.3 الاغتراب الاقتصادي:

يُؤثر عن علي "**ابن أبي طالب** " –كرّم الله وجهه – قوله :« **الفقر يُخرسُ الفَطِن عن حجته، والمُقِلُّ غريب في بلدته...الفقر في الوطن غُربة...**»[1].

ما كان "**علي**"– رضي الله عنه وأرضاه– ليقول هذا القول لولا أنه أدرك ما للفقر من آثار نفسية واجتماعية على الفرد والمجتمع.

يعدّ "**كارل ماركس** " أوّل من اهتم بالعلاقة بين ا لاغتراب والنظام الاقتصادي وعندما صاغ نظريته حول ا لاغتراب في مؤلفه –مخطوطات– كانت آراؤه متأثرة إلى حد كبير بالأفكار السا ئدة عند ا لاشتراكيين الثوريين والفكر المتعلق بالاغتراب.

والاغتراب الاقتصادي عند " **ماركس**" يتموضع في صورتين: اغتراب ناتج عن العمل، واغتراب العامل عن العمل نفسه[2].

ومن هنا يمكن اعتبار ا لاغتراب الاقتصادي نتيجة حتمية لذلك التطور التكنولوجي والحضاري الملامس لحياة الإنسان، حيث أنّ الظروف والتحديات الاقتصادية في الوقت الحالي هي التي تبحث حالة الشعور بالاغتراب لدى الفرد.

---

[1]–الإمام علي: في ظلال نهج البلاغة، شرح: محمد جواد مُغنية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ج3، ط3، 1979 ص: 321.

[2]– عبد اللطيف محمد خليفة : دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص: 88.

4.3. الاغتـراب الاجتمـاعـي:

يتمثل ا لاغتراب الاجتماعي في « **شعور الفرد بعدم التفاعل بين ذاته وذوات الآخرين، والبرود الاجتماعي؛ أي ضعف الروابط مع الآخرين أو ضعف الإحساس بالمودة والألفة الاجتماعية معهم ، وينتج ذلك عن الرفض الاجتماعي الذي يعيش في ظله الإنسان في افتقار دائم للدفء العاطفي** » [1]؛ أي تلك الحالة الاجتماعية التي يشعر فيها الفرد بالبُعد والانفصال وعدم الانتماء إلى جماعته وأفراد مجتمعه، وأنه معزولٌ ومهمش من طرفهم، كما يشعر بأنه غير قادر على أداء وظيفته في المجتمع والعجز عن التواصل معهم، وبعبارة أخرى: الشعور بالعزلة والهامشية الاجتماعية عن ممارسة السلوك الاجتماعي العادي.

5.3. الاغتـراب الثقـافـي:

ويقصد به: ا بتعاد الفرد عن ثقافة مجتمعه ورفضها والنفور منها، والانبهار بكل ما هو غريب أو أجنبي من عناصر الثقافة وخاصة أسلوب حياة الجماعة والنظام الاجتماعي وتفضيله على ما هو محلي، « **فثقافة المجتمع تتآلف عن العادات والتقاليد والقيم السائدة لذلك المجتمع ومخالفة المعايير التي تضبط سلوك أفراده؛ حيث تجد الفرد يرفض هذه العناصر وينفر منها ولا يلتزم بها، بل و يفضل كل ما هو غريب وأجنبي عنها**»[2].

فالخروج عن هذه الأطر والعادات والتقاليد والأعراف يؤدي بالضرورة إلى طمس هوية الفرد وكذا التقولب بقالبٍ غربي هما ما يولدان شعورًا بالاغتراب على مستوى الفرد.

بالإضافة إلى ما سبق ذكره عن أنواع الاغتراب، هناك أنواع أخرى ك الاغتراب الوجودي الإبداعي، التربوي القانوني و المعلوماتي...إلخ.

---

[1]– زليخة جديدي: الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 8 ، جامعة وادي سوف (الجزائر)، جوان2012، ص: 349.

[2]– المرجع نفسه، ص: 349.

4 ـ مظـاهــر الاغتـراب:

للاغتراب مظاهر وأبعاد ميزته عن باقي الظواهر والحالات، فقد حصرها " **ملفن**" في خمسة مظاهر هي [1]: العجز، اللامعيارية، الاغتراب عن الذات، اللامعنى، والعزلة الاجتماعية.

1.4العجــز Powerlessness:

أشار"**ملفن**" إلى ما يعرف بفقدان السيطرة، فسوّاه باللاقدرة والعجز؛ والعجز هو عدم قدرة الفرد على « **السيطرة على تصرفاته وأفعاله ورغباته، ولا يستطيع أن يقرر مصيره ومن ثم يعجز عن تحقيق ذاته، و يشعر بحالة من لاستسلام والخنوع** » [2] فتتحكم فيه عوامل وقوى خارجية عن إرادته، مما يولد عنده شعور بالإحباط وخيبة الأمل فـي ممارسـة أفعالـه.

2.4 اللامعــنى Meaninglessness :

ويسمى أيضا بفقدان المعنى يعرفه "**سيمان ملفن** " بأنهُ :« **توقع الفرد أنه لن يستطيع التنبؤ بدرجة عالية من الكفاءة بالنتائج المستقبلية للسلوك** » [3] لذلك تكون اللامبالاة والتفاهة هي ما يميز حياة الفرد، كنتيجة لفقدان المعنى الحقيقي للحياة وضبابية ما يجب عليه أن يؤمن به أو يثق فيه، فتصبح الحياة بلا معنى لأنها ت سير وفق منطق غير مفهـوم وغيـر مقبـول.

3.4 اللامعيــاريــة Normlessness :

الأنوميا أو ما يطلق عليه "تصدع المعايير" وهو مصطلح أخذه " **ملفن سيمان** " من وصف " **ايميل دوركايم**" لحالة الأنوميا التي تصيب المجتمع ؛ وهي« **حالة انهيار**

---

[1] - عبد اللطيف محمد خليفة : دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص: 35 .

[2] – المرجع نفسه، ص: 36.

[3] – المرجع نفسه، ص: 37.

المعايير التي تنظم السلوك وتوجهه » [1]؛ أي أنّ الأشياء لم يعد لها ضوابط معيارية وبغيابها يظهر ما يُعرف " بالأنوميا"، فما كان خطأ يصبحُ صوابًا والعكس صحيح، وهذا لتحقيق المصلحة الذاتية للفرد.

4.4 العزلة الاجتماعية: Social Isolation :

وهي مظهر من مظاهر الاغتراب، ويقصد به :« **شعور الفرد بالوحدة والفراغ النفسي والافتقار إلى الأمن والعلاقات الاجتماعية الحميمية والبعد عن الآخرين حتى وإن وُجد بينهم...**» [2]. فيترتب عن هذا المظهر الشعور بالرفض الاجتماعي و الانعزال عن الأهداف الثقافية للمجتمع وكذا الانفصال بين أهداف الفرد وقيم المجتمع. وغالبا ما تستخدم العزلة الاجتماعية في تحليل دور المثقف أو المفكر، الذي يغلب عليه الشعور بالتجرّد وعدم الاندماج النفسي والفكري بالمعايير الشعبية في المجتمع، فلا يرون قيمة كبيرة لكثير من الأهداف والمفاهيم التي يثمنها المجتمع.

5.4 الاغتراب عن الذات Self-Estrangement:

استمد" **ملفن**" مفهوم الاغتراب عن الذات من كتاب" **إريك فروم**" الموسوم "بالمجتمع السليم"، الذي يعدّ من أكثر البحوث دقة وعمقًا حين تناول موضوع الاغتراب من زاوية نمو الشخصية وتطوره.

والاغتراب عن الذات كما يعرفه " **ملفن**" « **عدم قدرة الفرد على التواصل مع نفسه وشعوره بالانفصال عمّا يرغب في أن يكون عليه، حيث تسير حياة الفرد بلا هدف** » [3] وبالتالي يشعر الفرد بالاغتراب عندما لا يستطيع التحكم بأفعاله فيكون سلبيًا عندما يستسلم لها ولنتائجها ويشعر بأنّه لا معنى لحياته، فيشعر بالاغتراب عن ذاته.

---

[1]– عبد اللطيف محمد خليفة : دراسات في سيكولوجية الاغتراب ، ص: 37.

[2]– المرجع نفسه ، ص: 39.

[3]– المرجع نفسه ، ص: 40.

ضف إلى ذلك مظاهر أخرى عالجها الباحثون على أنها حالة من حالات الاغتراب وهـي:

***اللاهـــدف: Aimlessness :**

يقصد به أنّ الحياة تمضي بغير هدف أو غاية واضحة، ومن ثم يفقد الفرد الهدف من وجوده ومن عمله ونشاطه وفق معنى الاستمرار في الحياة [1]، فيترتب عن ذلك اضطراب سلوك الفرد وأسلوب حياته، فيظل الطريق ونلاحظ أن اللاهدف يرتبط ارتباطًا وثيقًـا باللامعنـــى.

***التمـــرد:Rebelliousness:**

يقصد به:« **شعور الفرد بالبعد عن الواقع ومحاولته الخروج عن المألوف والشائع وعدم الانصياع للعادات والتقاليد السائدة، والرفض والكراهية بكل ما يحيط بالفرد من قيم ومعايير وقد يكون التمرد على النفس أو على المجتمع بجميع مؤسساته** »[2].

ويعني ذلك عدم الاستماع لنواميس المجتمع وعدم العمل بها (على العادات والتقاليد) بالإضافة إلى الشعور بالكـره والعـداء لنفسه ومجتمعـه.

***التشـــيؤ:Reifieation:**

أن يعامل الفرد كشيء إذ ويعرّفه الفرنسي "**جون جاك روسو**" بأنه:« **التسليم أو البيع...فالإنسان الذي يجعل نفسه عبدًا للآخر إنسان لا يسلم نفسه، وإنما هو بالأحرى يبيع نفسه من أجل بقائه على الأقل**» [3]، يشتمل هذا التعريف على معنيين أحدهما إيجابي وهو أن يسلم الإنسان ذاته إلى الكل في سبيل هدف نبيل،أما السلبي

---

[1]– عبد اللطيف محمد خليفة : دراسات في سيكولوجية الاغتراب ،ص: 42.

[2]–المرجع نفسه ، ص: 42.

[3]– محمود رجب : الاغتراب- سيرة مصطلح-، ص :58.

فهو أن ينظر الإنسان إلى ذاته كما لو كانت شيء أو سلعة للبيع، فينتفي بذلك وجـوده وهـويتـهُ.

***الانسحـــــاب:**

هو الابتعاد عن المواقف والأحداث التي يعجز فيها الفرد عن إيجاد حل لها « **فهو وسيلة دفاعية يلجأ إليها الأنا للدفاع عن نفسه، حيث يعجز الفردُ الابتعاد عن المواقف المهددة ومن ثم يزيح عن نفسه القلق بانسحابه عن الموقف أو يُنكر وجود العنصُر المُهَدِّد** »[1]، فالانسحاب يكون في حالة عجز المغترب عن تغيير واقعه، وذلك بحسب ظروفه وأوضاعه ويكون بترك مجتمعاتهم والابتعاد عنها إلى مجتمعات أخرى.

***الرفـــــض:**

وهو «**استنكار الفرد للأمور أو عدم قبول المواقف والسلوكات من الأشخاص الآخرين أو المجتمع** »[2] فهو اتجاه سلبي رافض ومعادٍ للآخرين أي رفض هـ لهذه السلوكات ونبـذه ـــا.

مما تقدّم نلاحظ أن كل أبعاد الاغتراب تكاد تكون مترابطة ومتداخلة يكمل بعضها البعض الآخر، فلكل واحدٍ منها أهميتـه وتأثيره في درجة اغتراب الفرد وحـدتـه.

---

[1]– يونس كريمة: الاغتراب النفسي وعلاقته بالتكليف الأكاديمي،مذكرة نيل شهادة الماجستير في علم النفس المدرسي جامعة مولود معمري ، تيزي وزو، الجزائر ، 2012 ، ص : 45 .

[2]–مزيان وردية : الاغتراب الاجتماعي وتأثيره في الهوية الوطنية لدى الشباب الجامعي، مذكرة نيل شهادة الماستر في علم الاجتماع التربوي جامعة العقيد آكلي محند ولحاج، البويرة،الجزائر، 2012، ص: 39.

المبحث الثاني : جذور الاغتراب في الشعر العربي القديم:

على الرغم من أن الاغتراب من المصطلحات والمفاهيم الفكرية الحديثة إلا أن جذوره ضاربة في القدم، إذ تمتدُّ في الآداب العالمية ؛ أين يشكّل الأدب العربي –قديمه وحديثه– جزء لا يتجزأ منه ، فإذا ما رجعنا إلى الشعر العربي القديم يمكننا أن نعثر على بدايات وبواكير الاغتراب.

1 . الاغتراب في الشعر الجاهلي:

ورد الاغتراب في الجاهلية بمعنى النوى والبعد عن الوطن،كنتيجة لما يُميّز حياة العربي من ترحال وتنقل بحثا عن مساقط ال غيث والكلأ، ذلك أن نمط حياة البداوة هي ما تفرض عليه ذلك، يقول "**ابن قتيبة** ":« **إن مقصد القصيد إنّما ابتدأ فيها بذكر الديار والدّمن والآثار، فبكى وشكا، وخاطب الرّبع واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها، إذ كان نازلة العَ مَدِ في الحلول وال ظعن على خلاف ما عليه نازلة الهَدَرِ، لانتقالهم من ماء إلى ماء، وانتجاعهم الكلأ، وتتبع مساقط الغيث حيث كان** »[1].

إن الإنسان العربي في الجاهلية مطبوع على الرحلة والتنقل، فقد عاش حياة الاغتراب في بحثه عن الماء والكلأ، فهما موطنه.

كما عُدَّتْ ظاهرة الوقوف على الأطلال قاسمًا مشتركًا بين الشعراء الجاهليين « **إذ نلمس إحساسا بالغربة وحنينا طويلا إلى ديار الأحبة فقد كان للطبيعة الصحراوية وأسلوب الحياة الرعوية والنظام القبلي القائم على احترام العصبية أثرها الكبير في الشاعر الجاهلي** »[2]. فالمتمعن في ابتداءات الشعراء عند ذكرهم للأطلال يوحي من الوهلة الأولى إحساسهم العميق بالاغتراب اتجاه الحياة.

---

[1]– ابن قتيبة :الشعر والشعراء، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ج1، 1982،ص :73–74.

[2]– أحمد علي الفلاحي: الاغتراب في الشعر العربي، في القرن السابع الهجري(دراسة اجتماعية نفسية) ، ص: 27.

وإن خير مثال عن ذلك" **امرؤ القيس** " حيث ربط الأطلال بموقف البيّن ولحظة الرحيل فيحكي عن وقع الاغتراب على نفسه فيقول[1]:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكرَى حَبِيبٍ وَ مَنــــزِلِ بِسَقْطِ اللِّوَى بينَ الدّخُولِ فَحوْمَلِ

فتُوضِحُ فالمِقْراة لمْ يَعْفُ رَسْمُهــا لِمَا نَسَجَتْهَا من جنوب وشَمْــأَلِ

تَرَى بَعـرَ الأَرَامِ فــي عَرَصَاتِهــا وَقِيعَــانُهــا كأنـه حُبُّ فُلْفُـلِ

كأنيّ غـداة البَيْــنِ يومَ تَحمَّلُــوا لَدَى سَمُـراة الحَيِ نَاقِفُ حَنْظَـلِ

وقُــوفًا بِهَا صَحْبِي عَليّ مَطِيَّــهُم يَقُولُـون لا تَهْلِكْ أَسًى وتَجَمَّــلِ

وإنّ شِفَـائِي عِبـْــرَةٌ مُهْـرَاقَـةٌ فَهَلْ عِـنْدَ رَسْـمٍ دَارِسٍ مِـنْ مُعَـوّلِ

فاغتراب الشاعر بدأ مع رحيل الحبيبة وقبيلتها، بعد أن انعدمت أسباب الحياة فيها، فراح يُعزى نفسه بالوقوف على الأطلال واصفًا ما تبقى من رسم؛ الذي اتخذتها الحيوانات البرية مرتعــًا لهــا.

"**فامرؤ القيس** " من أشهر الشعراء الذين عانوا من تجربة ا لاغتراب وذلك منذ أن طرده أبوه حين تغزل بابنة عمه، وازداد اغترابه مرارة حين قُتل أبوه وتخلت قبيلته عن نجدته وحمايته؛ فانطلق غريبًا وحيدًا يبحث عن من يأخذ بيده لتحقيق ثأره واسترجاع تاج ملكــه المسلوب منــه.

وما يزيد من اغترابه هو غربة الموت في بلاد الغير فيقول[2]:

أَجَارَتُنَا إِنَّ الخُطُوبَ تَنُوبُ وإِنِّي مُقِيمُ مَا أَقَامَ عَسِيبُ

أَجَارَتُنَا إِنَّــا غَرِيبَانِ هَهُنَا وَكُلُّ غَرِيبٍ للغَرِيبِ نَسِيبُ

---

[1]– امرؤ القيس: الديوان، اعتنى به وشرحه : عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2004 ص :21– 24.

[2]– المرجع نفسه، ص: 83.

فلقد أنشد هذه الأبيات في طريق عودته من بلاد "الروم" حين رأى قبر امرأة من بنات ملوك "الروم" على سفح جبل يُقال له "عسيب"، فسأل عنها فأُخبرَ بقصتها فقام يذكر غربته وإياها فهو هنا يرى بأن الغريب ليس من نأى وابتعد عن الديار بل الغريب من تخلى عنه القريب.

ويعد أيضا "**المهلهل بن ربيعة التغلبي** "– الزير سالم– من أقدم الأصوات المغتربة في الشعر الجاهلي؛ والذي يمكن تقسيم غربته الذاتية إلى مرحلتين حاسمتين في اغترابه أولها حين انفصل عن واقعه وانسلخ عنه بمجونه ولهوه ، وثانيها حين قُتلَ أخوه " **كُليب بن وائل**" التي كان لها ذلك الوقع الشديد عليه، فتحول من عربيد إلى مجرم حرب يتلذّ دُ بسفك الدماء، فيقول "**الزير سالم**" في ذلك[1]:

أكْثَرْتُ قَتْلَى بَنِي بَكْرٍ بِرَبِّهِم حَتَى بَكَيْتُ وَمَا يَبْكِي لَهُم أَحَدُ

آلَيْتَ بالله لا أرْضَى بِقَتْلِهِم حَتَى أُبَهْـــرِجَ بَكْرًا أيْنَمَا وُجِدُوا

فمن شدة وطأة ا لاغتراب ووقعه في نفسية " **أبا ليلى**" أن بلغ به الحد إلى غاية الاستهتار بمن حوله إلى درجة أن وصف خيار قومه بقوله:" بشسع نعل كليب"؛ وهو الأمر الذي أدى إلى قطع أواصر اتصاله بمجتمعه الذي لم يستطع التكيف معه (عُزلة اجتماعية).

ضف إلى ذلك غربته المكانية؛ حين خرج على قومه بعد أن ملّوا منه لطول الحرب وإصراره على إزهاق روح آخر بَكْرِيٍّ.

فلما نزل "باليمن" خطب إليه أحدهم ابنته فأبى أن يفعل فأكرهوه فأنكحهم إيّاها مقابل مهر من الجلود فظل يذكر غربته ومهانته بعد أن كان عزيزًا في قومه[2]:

أنْكَحَها فقدُها الأراقمَ فـــــــي جَنْبِ وكَانَ الحِبَاءُ مِـــــن أدَمِ

لـو بأبَانِيْنَ جَاء يخطُبُه ـــــــــا ضُرِّجَ مَا أنف خَاطب بِـــــــدمِ

أَصْبَحْـــــتُ لا مُنْفِسًا أَصَبْتُ ولا أُبْتُ كَرِيمًا حُرًّا من النـــــــدم

هَانَ على تغْلِبٍ بِمَـــا لَقِيـــــتْ أُخْتُ بني المَهَالكِينَ مِـــــنْ جُشَمِ

---

[1]– المهلهل بن ربيعة: الديوان، شرح وتقديم: طلال حرب، الدار العالمية، د ط، د ت، ص: 27.

[2]–المرجع نفسه، ص: 81.

لَيْسُوا بأَكْفَائِنا الكِـــــــــرَامَ ولا يُغْنُونَ مـــن عِيلَة ولا عَـــــدَم

كما لم يغب ا لاغتراب عن الشعراء الصعاليك فهاهم يبتعدون عن قبائلهم بعد أن استحال عليهم العيش معهم، فجعلوا من الصحراء القاحلة موطنًا لهم ومن الوحوش بديـلًا عـن أهاليـــهم.

فالمتأمل في أخ بارهم وأشعارهم يلفتُ نظره شعورٌ حادٌ بالفقر وإحساس مرير بوقعه على نفوسهم، وشكوى صارخة من هوان منزلتهم الاجتماعية وعدم تقدير المجتمع لهم، وعجزهم عن الأخذ بنصيبهم من الحياة كما يأخذ سائر أفراد مجتمعهم أو الوقوف على قدم المساواة في معترك الحياة لا لأنهم هـ م أنفسهم عاجزين؛ وإنّما لأنّ مجتمعهم ظلمهم وحرمهم من تلك العدالة الاجتماعية التي يطمح إليها كل فرد في مجتمعه وجرّدهم من كل الوسائل المشروعة التي يواجهون بها الحياة كما يواجهُها غيرهم ممن توافرت لهم هـذه الوسائل[1].

فكان الاغتراب عند الصعاليك تمردًا على أعراف وتقاليد قبيلتهم من خلال تغليب المنطق الفردي على المنطق الجماعي.

إلا أنه يوجد من الصعاليك من يرى أن في ا لاغتراب مدعاة إلى الأمن والطمأنينة والعيش الكريم والسلامة من الأذى يقول "**الشنفرى**" فـي هـذا الخصـــوص[2]:

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّـــي صُدُورَ مَطِيِّكُـــمْ فَإِنِّي إِلَى قَوْمٍ سِوَاكُمْ لَأَمْيَلُ

فَقَدْ حُمَّتْ الحَاجَـاتُ واللَّيْـــلُ مُقْمِرٌ وَشُدَّتْ لِطَيَّاتٍ مَطَايَا وَأَرْحُـلُ

وَفِي الأَرْضِ مَنْأَى لِلكَرِيمِ عَـنِ الأَذَى وَفِيهَا لِمَنْ خَافَ القِلَى متَعَزَّلُ

لَعَمْرُكَ مَا فِي الأَرْضِ ضِيقٌ عَلَى امْرِئٍ سَرَى رَاغِبَا أَوْ رَاهِبًا وَهُوَ يَعْقِلُ

فالشاعر يفضل التشرد في الصحراء على البقاء في هامش مجتمع عنصري يسوده الظلم والأنانية لا مكانة فيه للعيش معهم.

---

[1]– يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1966، ص: 32.

[2]–الشنفرى : لامية العرب، شرح ودراسة: عبد الحليم حنفي، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 2008، ص: 08.

« **فأرض الله واسعة؛ فمن خاف اهانة أو بغضًا فعليه بالاغتراب في جنبات الأرض الواسعة المترامية الأطراف**» [1] ونتيجة لذلك ألف هؤلاء الصعاليك الوحوش واستوحشوا الإنس حيث يقول "**الشنفرى**" أيضـًا[2]:

وَلِي دُونَكُمْ أَهْلُونَ سِيْـــدٌ عَمَلَّسٌ وَأَرْقَطُ زُهْلُولُ وَعَرْفَاءُ جَيْأَلُ

هُمُ الأَهْلُ لَا مُسْتَوْدَعُ السِّرُ شَائِـعُ لَدَيْهْ وَلَا الجَانِي بِمَاجِرَ يُخْذَلُ

يخرج " **الشنفرى**" حين يخذله قومه إلى الصحراء مغتربًا ويدعو أمثاله من الصعاليك إلى الخروج، فيجد في وحوش البوادي عِوَضًا عن الأهل؛ فهم الأهل والرفيق ، يأمن بينهم من شرور أعدائه، فهو« **يوضح انتماءه الجديد إلى عالم الحيوان** »[3] والوضع نفسه قائم عند " **تأبط شرًا**" فقد ألف الوحوش وألفته حتى أنه تجنّب صيدها.

لقد كانت المرأة والرجل في الجاهلية سواء في الحنين للوطن ، فالشعور با لاغتراب يلازمها أيضا "**فعمرو بن قميئة**" لما خرج مع "**امرؤ القيس**" إلى "قيصر"، وقد حنّت ابنته إلى وطنها إذ شطّت بها النوّى فبكت[4] فقال في ذلك [5]:

قَدْ سَئَلَتْنِي بِنْتُ عَمرو عَن ال أَرْضِ التِي تُنْكِـــرُ أَعْلَامَهَا

لَمّـا رَأَتْ سَاتِيدَمَـــا اسْتَعْبَرَتْ أَخْوَالُهَـــا فِيهـا وَأَعْمَامَهـــا

تَذَكَّـــرْتْ أَرْضًـا بِهَـا أَهْلُهَـا لله دَرُّ- اليَوْمَ مَـنْ لَامـهَا

فهذا دليل على حب العرب لديارهم وأوطانهم فتلك طبيعة راسخة في نفس كل واحد منهم، فمهما يغترب فإن نفسه تحنُّ دائما إلى مسقط رأسه.

---

[1]–عبد الرزاق الخشروم : الغربة في الشعر الجاهلي –دراسة–، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1982، ص: 159.

[2]– الشنفرى : لامية العرب، ص: 08.

سيد عملّس: الذئب الخفيف، الأرقط: النمر، الزهلول: الخفيف اللحم، العرفاء: الضبع، الجيأل: اسم من أسماء الضبع.

[3]– عبد الرزاق الخشروم : الغربة في الشعر الجاهلي، ص: 159.

[4]–أحمد محمد الحوفي: المرأة في الشعر الجاهلي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط2، 1963، ص: 650.

[5]– عمرو بن قميئة : الديوان، تح: خليل إبراهيم العطية، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، 1994، ص: 71.

2 . الاغتراب فـي شعر عصر الفتوحـات الإســلاميــة:

مع مجيء الإسلام أشرقت جزيرة العرب بنور ه إلا أن ذلك لم يمنع من أن يظهر نوع آخـر مـن الاغتراب ؛ ففي الخروج الجند لفتح البلدان رأو ا بلادًا تختلف عن بلادهم في جوّها و طبيعتها، ومظاهر حياتها ، فعاش كثير منهم هناك بأجسادهم وبقيت أرواحهم ومشاعرهم في أوطانهم ومع أهلهم، فكثيرًا ما كان يبرز إحساس الشاعر با لاغتراب حين يجد حوله قومًا لا يعرف لغتهم ولا نمط حياتهم، « **فكان يشتاق إلى مرابعه الأولى ويحن إلى مواطنه التي أقبل منها** »[1] فالاغتراب هنا ليس فقط « **بسبب البعد عن القبيلة ومضاربها لكنها بشكل أقوى بعد عن الجزيرة العربية كلها** »[2] فكل شيء في هذا المكان الجديد كـان يُذكـر الشاعـر بوطنــه.

"**فحسان بن ثابت** " – شاعر رسول الله صل ى الله عليه وسلم– ينقل لنا صورة عن مشاعره بعد إن استشهد" **خبيب**" –رضي الله عنه – بعيدًا عن أهله وموطنه، بين مجمــع الكفلو ثابتـا علـى عقيدتـه[3]:

مَا بَــالُ عَيْنِكَ لَا تَرْقَا مَدَامِعُهَا سَحًّا عَلَى الصَّدْرِ مِثْلَ اللُّؤْلُؤ الفلَقِ

عَلَى خُبَيْبٍ وَفِي الرَّحْمَنِ مَصْرَعُهُ لَا فَشِــلَ حِينَ تَلْقَــاهُ وَلاَ نَـــــزِق

فَاذْهَبْ خُبَيْبُ جـــــزَاكَ اللهُ طَيِبَةً وَجَنَةُ الخُلْدِ عِنْدَ الحُور فِي الرُفُقِ

وما زاد أيضا من شدة وقع الاغتراب في نفوس المسلمين لمّا توفي النبي – صلى الله عليه وسلم– فكانت تلك قاسمة الدهر، كما ينقل لنا كذلك " **حسان بن ثابت**" صورة من مشاعــر

---

[1]– وهب طنوس: الوطن في الشعر العربي –من الجاهلية إلى نهاية القرن الثاني عشر ميلادي–،حلب ، سوريا، ط1 1976، ص :343.

[2]– المرجع نفسه، ص: 343.

[3]– حسان بن ثابت : الديوان، شرحه: عبد أعلي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1994، ص: 173.

المسلمين بعد فقدهم للنبي صل الله عليه وسلم[1]:

وَرَاحُوا بِحُزْنٍ لَيْسَ فِيهِمْ نَبِيّـــُهُمْ وَقَـدْ وَهَنَتْ مِنْهُمْ ظُهُورُ وَأَعْضُدْ

يَبْكُونَ مَنْ تَبْكِي السَّمَاوَاتُ يَوْمُهُ وَمَنْ قَدْ بَكَتْهُ الأَرْضَ فَالنَاسُ أَكْمَدُ

وَهَـلْ عَدَلْتَ يَوْمًا رَزِيَّةَ هَالـــِكٍ رَزِيَّـةَ يَـوْمٍ مَـاتَ فِيـهِ مُحَـمدُ

تَقَطَّعَ فِيهِ مَنْزِلُ الوَحْيِ عَنْـــهُمْ وَقَـدْ كَانَ ذَا نُـورٍ يَغُــورُ وَيَنْجِدُ

كما يتضاعف الإحساس بالاغتراب عندما تتعلق الزوجة بزوجها باكية متضرعة، فيصور " **النابغة الجعدي**" هذا الموقف خير تصوير إذ قال لامرأته حين خرج غازيًا[2]:

بَاتَتْ تُذَكــرِّنِي بِاللَهِ قَاعِــدَةً وَالدَّمْعُ يَنْهَلُ مِنْ شَأْنَيْهَا سُبُلًا

يَا ابْنَةَ عَمِي كِتَابُ اللهِ أَخْرَجَنِي كُرْهًا، وَهَلْ أَمْنَعُ اللهَ مَا فَعَــلَا

فَإِنْ رَجَعَتْ فَرَبُّ النَّاسِ يُرْجِعُنِي وَإِنْ لَحِقْتُ بِرَبِي فَابْتَغِي بَـدَلاَ

فيكون القاعد أحيانا أشد إحساسا بالاغتراب من المجاهد المسافر، فتكون مفارقته أصعب وأشـــد.

3 . الاغتــراب فـــي الشعـر الأمــوي:

إنّ المتأمل في الشعر الأموي يدرك غِناه بالقصائد المعبرة عن ظاهرة الاغتراب فقد ساهمت عوامل وظروف عديدة في تكريس هذا الشعور.

فغربة السّجن من إحدى هذه العوامل، فقد عبّر "**الحطيئة**" عن هذه الغربة عندما حبسه "**عمر بن الخطاب**"- رضي الله عنه بسبب هجائـه " **للزبرقان بن بـــدر**" فأنشده مستعطـفا الخليفـــة بأبنائـــه[3]:

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْـــرَاخٍ بِذِي مَرَخٍ حُمْرَ الحَوَاصِلِ لَا مَاءُ وَلَا شَجَرٌ

غَيّبْتُ كَاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فَاغْفُر عَلَيْكَ سَلَامُ اللهِ يَا عُمَـرُ

---

[1]- حسان بن ثابت : الديوان ، ص: 61-62.

[2]- ابن قتيبة: الشعر والشعراء، ص: 293.

[3]- الحطيئة: الديوان، رواية وشرح: ابن السّكيت، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان، ط3، 2003، ص: 106-107.

كما كانت رحلة الشعراء إلى الخليفة وتغرُّبهم عن وطنهم سبيلا لإطلاع أولى الأمر بما تقاسيه الرعية من عوز وحرمان ويمثل "**جرير**" قمة الاغتراب الاقتصادي حيث يقـــول[1] :

أَلَا هَلْ للخَلِيفَةِ فِي نِـــــــزَارٍ فَقَدْ أَمْسُوا وَأَكْثَرُهُمْ كَـــلُولُ

وَتَدْعُوكَ الأَرَامِلُ وَاليَتَـــامَى وَمَنْ أَمْسَى وَلَيْسَ بِهِ حَوِيلُ

وَتَشْكُو المَاشِيَاتُ إِلِيْكَ جُهْدًا وَلَا صَعْبٌ لَهُنَّ وَلَا ذَلُـــــول

وَأَكْثَرُ زَادِهِنَ وَهُـــــــنَّ سُفْعٌ حُطَامُ الجِلْدِ وَالعَصَبِ المَلِيلِ

فعلى الرغم من أن الشاعر كان من شعراء البلاط الأموي، إلا أنه اكتوى بنار التجربة وعانى من الاغتراب الاقتصادي، فكان يشكو قلة حيلته وعجزه أمام الوضع الاقتصادي المزري في ذلك العصـر فقصـد الخلفـاء واشتكـى ضيـق الحـال.

كما حفل شعر العُذريين بألفاظ و مشاعر الاغتراب ؛ فالشاعر غريب في دياره مادامت حبيبته بعيدة عنه وهو محروم عنها ؛ فهذا " **كُثيِّر عزة**" يشكو في شعره من اغترابه وضغـط الشوق والحنين عليه[2]:

إِلَى اللهِ أَشْكُو لاَ إِلىَ النَاسِ حُبُّهَا وَلَا بُدَ مِنْ شَكْوَى حَبِيبٍ مُوّدِعٍ

أَلَا تَتَّقِينَ اللهَ فِـــي حُـــبِّ عَاشِـقٍ لَهُ كَبِدٌ حَرَّى عَلَيْكَ تَصَـــــدُّعُ

غَرِيبُ مُشَـــوِقْ مُولَـــعٍ بِادِكَارِكُـــمْ وَكُلُ غَرِيبِ الدَّارِ بِالشَوْقِ مُولِعُ

كما لم يقتصر الاغتراب في هذا العصر على الشعراء من الرجال بل امتد إلى النساء الشاعرات، ونذكر من هن في هذا الخصوص قول " **ميسون بنت بحدل** " زوجة "**معاوية بن أبي سفيان**" التـــي حنّت إلى باديتهـــا وأهلهـــا لمّا ضاقت نفسها مـن حـياة

---

[1]– جرير: الديوان، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 1958، ص :347.

[2]– كُثير عزة: الديوان، شرحه وجمعه: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1971، ص: 409.

الحاضرة بالشـام[1]. فتقـول في هذا الخصـوص[2] :

لَبَيْتٌ تَخْفِـــقُ الأَرْوَاحُ فِيـــهِ أَحَـــبُّ إِلَيَّ مِـنْ قَصْـرٍ مُنِيـفِ

وَبِكْرٌ يُتْبَعُ الأَضْغَـــــانَ سقبًا أَحَـــبُّ إِلَيَّ مِـنْ بَغْـلٍ زَفُـــوفِ

وَخُشُونَةُ عِيشَتِي فِي البَدْوِ وَأَشْهَى إِلَى نَفْسِي مِنَ العَيْشِ فِي الظَّرِيفِ.

إلـى أن تقـول:

فَمـا أَبْغَى سِوَى وَطَنِـي بَدِيـلاً فَحِسِّـي ذَاكَ مِـنْ وَطَـنٍ شَرِيـفِ

فأخرجت بذلك ما في أعماقها من حنين إلى باديتها ومظاهر حياتها المختلفة فيها، وما كانـت تشعـر بـه مـن اغتـراب فـي الحاضـرة.

4 . الاغتـــراب فـــي الشعـر العبـــاسي:

تميز العصر العباسي باضطراب الحياة وانتشار الفوضى الأمر الذي جعل ظاهرة الاغتراب تتفشى وتأخذ أبعادا أكثر عمقا في شعر هذه المرحلة ؛ فكان بذلك مرآة تعكس حياة هذا العصر إذ أصبح الاغتراب يعني اغترابا عن المدينة.

"**فأبو نواس** " مثلا من أشد شعراء هذه الحقبة إحساسا بالاغتراب فيقول[3]:

كَفَى حُزْنًا أَنِي بِفَسْطَاطَا نَازِحُ وَلِي نَحْوَ أَكْنَافِ العِرَاقِ حَنِينُ

فكان ذلك تعبير حاد عن مرارة الاغتراب، وحنينه الشديد إلى "بغداد" بعد أن غادرها، كمـا نجده أيضا يتجه إلى "الخمرة" لتبديد هذه الظاهرة والقضـاء عليهـا فيقـول[4]:

إِذَا خَطَرَتْ فِيكَ الهُمُومُ، فَدَاوِهَـــا بِكَأْسِـــكَ حَتَّى لَا تَكُونَ هُمُومُ

---

[1]–يحي الجبوري : الحنين والغربة في الشعر العربي– الحنين إلى الأوطان–، ص: 27.

[2]– عبد القادر بن عمر البغدادي: خزانة الأدب ولبُّ لباب لسان العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر، ج8 ، ط4، 2000، ص: 505.

[3]–أبو نواس : الديوان، تح: أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص: 308.

[4]– المرجع نفسه ، ص :131.

وقولــه أيضـــــا [1]:

أَلَا فَاسْقِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الخَمْرُ وَلَا تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا أَمْكَنَ الجَهْرُ

فَمَا الغُبْنُ إِلَّا أَنْ تَــرَانِي صَاحِيًـــا وَمَا الغُنْمُ إِلَّ أَنْ يُتَعْتِعَنِي السُّكْرُ

فالخمرة في نظر " **أبي نواس** " هي التي تنسيه همومه وأوجاعه وتنقله إلى عالم مليء بالبهجة والسرور؛ فهي وسيلة جيدة لإعلان تمرّده وانفصاله عن مجتمعه.

أما " **المتنبي** " فقد كان يشعر بالاغتراب في مجتمعه « **فغربته غربة نفسية نابعة من تضخّم الأنا والتمرد وحب الحكم والتسلط** »[2]، فقد حاول الوصول إلى الحكم عن طريق التقرب من الحاكم، فلم يستطع أن يحقق طموحه ؛ فعاش حياته غريبا في مجتمعه، وكان كثيرا ما يصرّح بشعــوره بالاغتراب وســـط هذه الأمــة فيقول [3]:

مَا مُقَامِي بِأَرْضِ نَخْلَةَ إِلَّا كَمُقَامِ المَسِيحِ بَيْنَ اليَهــُودِ

كما نجد أبياتا أخرى " **للمتنبي**" يشكو فيها اغترابه وهو " بمصر" بعد أن ترك بلاط "**سيف الدولة الحمداني**" فها هو يُلّمُ به المرض مع اغترابه وانفراده "بمصر" دون صديق أو أنيس يواسيــه ويخفف عليــه بعضا من هذه الاغتراب فيقول مخاطبا الحُمَى [4]:

أَبِنْتَ الدَّهْرِ عِنْدِي كُلَّ بِنْتٍ فَكَيْفَ وَصَلْتِ أَنْتِ مِنَ الزِّحَامِ

جَرَحْتِ مُجَرَّحًا لَمْ يَبْقَ فِيــهِ مَكَــانٌ للسُّيُوفِ وَلَا السِّهــَامِ

ويقول أبو " **الطيب المتنبي**" أيضا[5]:

أَنَا فِي أُمَةٍ تَدَارَكَهَا اللـــــ ــهُ غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثَمُودِ

---

[1]– أبو نواس : الديوان، ص: 28.

[2]– يحي الجبوري : الحنين والغربة في الشعر العربي–الحنين إلى الأوطان– ،ص:118.

[3]– المتنبي : الديوان، دار بيروت، لبنان، د ط، 1983، ص :20.

[4]– المرجع نفسه، ص :484.

[5]- المرجع نفسه ، ص :22.

فلقد شبه اغترابه باغتراب النبي "**صالح**" –عليه السلام– بين قومه "ثمود" الذين أذاقوه المُر ونَفَرُوا من رسالته التي جاء من أجلها فهذا هو حال " **المتنبي**" مع قومه الذين لا يفهمونه ولا يقـدّرون مــواهبـــه.

في حين أن "**أبا العتاهية**" قد اختار الزهد طريقا للتعبير عن اغترابه في مجتمع انحلت فيه الأخلاق وأقبل الناس فيه على المحرمات دون رادع ؛ حيث يقـــول[1]:

أَلَمْ تَرَ ريْبَ الدَّهرِ فِي كُلِّ سَاعَةٍ لَهُ عَارِضُ فِيه المَنِيـــــة تَلمَعُ

أَيَا بَانِـــيَ الدُّنيَا، لِغَيـــرِكَ تَبْتَنِـي وَيَا جَامِعَ الدُّنْيَا لِغَيْـــرِكَ تُجْمَعِ

أرَى المَـــرْءَ وَثَّاباً علَى كُلِّ فُرْصَـةٍ وَللمَرْءِ يَوْمًا، لاَ مَحَالَةَ، مَصْـرَعُ

فمـا كـان منــه إلا الهـروب مــن هذا الواقــع والاهتمــام بالحيــاة الآخـــرة.

إن الإنسان قد يشعر بالاغتراب وهو بين أهله ومجتمعه يقول "**التوحيدي**" « **وأغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه** »[2] «**وقلّ حظّه ونصيبه من حبيبه وسكنه** »[3] ! فهو يرى بأن الغريب هو الذي يعيش بين أهله وأصدقائه ولكنه خارج حيزهم وعلى حافة دنياهم فلا حظ ولا أمل له في هذه الحياة الدنيا وسط هؤلاء الذين يهجرونه إنْ دافع عن الحق ونادى به، فلا يجد آذانا صاغية لإظهار هذا الحق ،يقول "**المتنبي**" في هذا الخصوص:[4]

بِمَ التَّعَلُّلُ إلا أهلَ ولاَ زَمَنُ ولاَ نَدِيمٌ ولاَ كَأْسٌ ولاَ سكَنُ

فهذا وصف رجل لَحِقهُ الشعور بالاغتراب فتمنى أهلا يأنس بهم، ووطنا يأوي إليه، ونديما يحل عقدة سره معه، وكأسا ينتشي منها وسكنًا يتوادع عنده [5] فوصف " **أبو حيان التوحيدي**" هذا كان نتيجـــة لما يشعر به مـــن نقـص حولـه.

---

[1]- أبو العتاهية : الديوان، بيروت ، لبنان، 1986 ، ص: 247.

[2]– أبو حيان التوحيدي: الإشارات الإلهية، ص 81.

[3]– المرجع نفسه ، ص: 79.

[4] –المتنبي : الديوان ص : 471 .

[5]– أبو حيان التوحيدي: الإشارات الإلهية، ص: 81.

كما يغلب الشعور بالاغتراب " **عُليَّة بنْتُ المَهْدِي** " أخت " **هارون الرشيد**" حين صحبها إلى "الريِّ" فشعرت بالاغتراب وحنّت إلى "بغداد" فلمّا صارت بالمرج عملت شعـرًا فقالـت فيـــه[1]:

وَمغْتَرِبٍ بِالمَـــرْجِ يَبْكِي لِشَجْـوِه وَقَدْ غَابَ عَنْهُ المُسْعِدُونَ عَلَى الُحبِّ

إِذَا مَا أَتَاهُ الرَّكْبُ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهِ تَنَشَّـــقَ يَسْتَشْفِـي بِرَائِحَـــةِ الرَّكْـبِ

فلمّا سمع "**الرشيد**" الصوت علم أنها قد اشتاقـت إلى "العراق" وأهلهـا فأمـــر بـــردّها.

5 . الاغتــراب فــي الشعـر الأندلسـي:

لقد قدر على الأندلسيين أن يعيشوا محنة اغتراب مريرة خاصة « **بعد انتثار عِقد الأندلس وسقوط معظمهم مدنه في أيدي النصارى فرحلوا عن وطنهم، وتركوا معاهدهم وديارهم، وفارقوا أهلهم وأحبابهم إلى غير رجعة** »[2]، فلقد صور لنا "**أبا المطرف بن عميرة**" تجربــة الأندلسيين عامـة، كما يعرض لنا أثر الاغتراب في نفوسهم فيقـول[3]:

كَفَى حُزْناً أَنَا كَأَهْلِ مُحَصَّبٍ بِكُلِ طَرِيقٍ قَـــدْ نَفَرْنـــا وَنَنْفُرُ

وَأَنَّ كِلَيْنَـــا مُشُـوقُ وَشَائِـقُ بِنَارِ اغْتِرَابٍ فِي حَشَاهُ تُسَعَّـــرُ

إلـــى أن يقـــول:

مَلَاعِبُ أَفْرَاسِ الصَّبَابَةِ وَالصِّبَا تَـــرُوحُ إِلَيْهَـــا تَـــارَةً وَتُبكِـــرُ

فكلما تذكر الشاعر مواطن الجمال ومغاني الصّبا في وطنه كلّما تضاعف إحساسه بالاغتــراب أكثـــر.

---

[1]– يحي الجبوري : الحنين والغربة في الشعر العربي–الحنين إلى الأوطان– ، ص:107.

[2]–فوزي عيسى: الشعر الأندلسي –في عصر الموحدين–، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر، ط1، 2007، ص: 156.

[3]- أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان، المجلد 4، ج3 ، 1968، ص:494.

فشعراء الأندلس حملوا اغترابهم معهم، فكانت النخلة مثلا رمزا لمدى تعلقهم بجذورهم وحنينهم لأهلهم، وأحبتهم وهذا ما نطقت به قريحة "**عبد الرحمان الداخل** "، وهو يرى نخلة وحيـدة وسـط الرُصافـة فيقول[1]:

تَبَدَتْ لَنَا وَسَطَ الرَّصَافَةِ نَخْلَـــةٌ تَنَاءَتْ بِأَرْضِ الغَرْبِ عَنْ بَلَدِ النَّخْلِ

فَقُلتُ: شَبِيهِي فِي التَغَرُّبِ وَالنَّوَى وَطُـولُ التَنَائي عَـــنْ بَنِـيَّ وَأَهْلِـي

نَشَـأْتِ بِأَرْضٍ أَنْـتِ فِيهَـا غَرِيبَة فَمِثْلُكَ فِي الإِقْصَاءِ وَالمُنْتَأَى مِثْلِـــي

فالشاعر في هذه الأبيات يعبر عن الاغتراب الذي يحس به وهو يخاطب نخلة، مصورا شـــدة الاغتراب الذي يشعر بـه وهو بعيد عـن المشـــرق.

إن الشاعر المغترب لا ينسى ذكرياته وساعات اللهو التي قضاها بين أحضان الطبيعة، ولا تفارق مخيّلته مشهد الجمال في وطنه، فيقول "**الرّصافي البلنسي**" في ذلك[2]:

بِلَادِي التِي رِيشَتْ قُوَيْدِيمَتِي بِهَـا فُرِيحًا وَآوتْنِي قَرَارَتَهَا وَكـــــرًا

مَبَادِئ لِينِ العَيْشِ فِي رِيقِ الصِبَا أَبَى اللهُ أَنْ أَنْسَى لَهَا أَبَدًا ذِكْرًا

لَبِسْنَا بِهاَ ثَوْبَ الشَبَابِ لِبَاسُهَـــــا وَلَكِنْ عَرِينَا مِنْ حَلَاهُ وَلَمْ تَعْرَى .

أما "**ابن زيدون**" فقد كان له هو الآخر نصيب في الشعور بالاغتراب، خاصة بعد دخوله السجن فنجده يهيم في الضياع فيقول في هذا الصدد[3]:

خَلِيلِي لاَ فِطْرَ يَسُرُ وَلاَ أَضْحَى فَمَا حَالُ مَنْ أمْسَى مُشَوقًا كمَا أَضْحَى

فالشاعر في هذه القصيدة يتحدث عن شعوره بالاغتراب وهو بعيد عن "قرطبة" وأحيائها

---

[1]– عبد الرحمان الداخل:الديوان–قصة و تاريخ–تح: سيمون الحايك، مكتبة الكسندرينا، ط3، 1982،ص:173.
الرصافة: هي مدينة أنشاها عبد الرحمن ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، وهو أول ملك الأندلس من الأمويين بعد زوال ملكهم.

[2]– الرصافي البلنسي: الديوان، جمعه: إحسان عباس، دار الشروق، ط2، 1983، ص :68.

[3]–محمد زكريا عناني : تاريخ الأدب الأندلسي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1999، ص: 99.

ومعالمها، كما نجده يقول في موضع آخـر [1]:

وَقــدْ مَلأَ الشَّوْقُ الحَشَا نُـــدُوبًا فِي الغَرْبِ إِذْ رُحْتُ بِهِ غَرِيبًـــا

ويقـول أيضـا[2]:

غَرِيبٌ بأَقْصَى الشَرْقِ يَشْكُو للصِّبَا تَحَمُّلَهَا مِنْهُ السَّلاَمُ إِلَى الغَرْبِ

فهذا البيت قاله وهو في مدينة بأقصى الشرق من "الأندلس"، وها هو الشاعر مرة أخرى يذكر "قرطبة" وأيام صباه فيها، فيبكي تلك الأيام التي غدت من صفحات كتاب الماضي[3]:

أَقُرْطُبَـــــةُ الغَرَّاءِ هَلْ فِيـــــكَ مَطْمَعُ

وَهَلْ كَبِـــــــــدٌ حَرَى لِبَيْنِـــكَ تَنْقَـــعُ؟

وَهَلْ للَيَالِيـــــــــكَ الحَمِيـدَةُ مَرْجِـــعُ؟

إذا الَحُسْـنُ مَــرْآى فِيكَ واللَهْوُ مَسْمَـــعُ

وَإِذْ كَنَـــــفُ الدُنْيـــا لَدَيْـكِ مــوَطــــأُ

فجاءت أشعاره كنتيجة – في غالب الأحيان– لتلك الاضطرابات السياسية الداخلية منها والخارجية في بلاد الأندلس، الأمر الذي عزّز من شعور الاغتراب لديهم ؛ فكانت ردة فعلهم أن هجـروا مدنـــهم وأهلــهم.

إذن كانت هذه بعض صور الاغتراب التي عاشها الشعراء وعبروا عنها بأشعار مختلفة جسدت لنا اغترابهم وبُعدهم وانفصالهم سواء عن الوطن أو الحبيبة أو غير ذلك مما ينكد على الشاعر عيشته. فتبقى بذلك ظاهرة الاغتراب سمة واضحة ترافق الشاعر العربي في كل العصور مؤكدة على شفافية إحساسه ورقة مشاعره.

---

[1]– ابن زيدون : الديوان، دراسة وتهذيب: عبد الله سنده، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص: 17.

[2]– المرجع نفسه ، ص: 20.

[3]- المرجع نفسه ، ص :42.

الفصل الثاني :

تجليات الاغتراب في

نونية أبي البقاء الرندي

المبـــحث الأول : عـوامـل الاغتـــراب.

1 . العامل التاريخي والسياسي.

2 . العامـــــل الاجتماعـــي.

المبـــحث الثاني: أنمـــاط الاغتـــراب في القصيدة.

1 . الاغتـــراب المكـــانـــي.

2 . الاغتـــراب الـــزمـانـــي.

3 . الاغتـــراب النفسـي.

4 . الاغتـــراب الدينـــي.

المبـــحث الثالث: آليات قهر الاغتراب في القصيدة.

1 . الاعـــتـــــــراف .

2 . استعـــادة المـــاضـــي .

3 . السخـــــرية و الوعـــظ .

4 . الانســـــحـــاب .

5 . الحـــزن وعـــدم الاستقـــرار .

6 . التـــمـــــرد .

المبحث الأول : عوامـــل الاغتـــــراب:

إنّ المتفحص لحال الشعر بالأندلس، يجد بأنَّ الاغتراب من المواضيع البارزة في أشعار الأندلسيين مُذ أن وطأ "**عبد الرحمن الداخل**" أرض شبه الجزيرة الايبيرية، وذلك راجع إلى تضافر جملة من العوامل السياسية، الاجتماعية والثقافية وحتى الاقتصادية.

1 . العامل التاريخي والسياسي:

كان للعامل السياسي دور بارز في تكريس حسِّ الشعور بالاغتراب لدى الشعراء الأندلسيين، ولعلَّ ذلك يعود إلى ما مرّت به "الأندلس" من أحداث، إذ لم يكد حكم "بني أمية" الذي« **بدأ مع تولي عبد الرحمن الداخل الإمارة في قرطبة سنة 138هـ ـ (756م) إلى سقوط الخلافة الأموية سنة 422هـ ـ(1013م)**»[1] الأفول، حتى أعلن ذوو السلطة العليا استقلالهم عن الخلافة الأموية، فلنفرط عقد الأندلس الموحدة، فصارت أندلسيات كثيرة، فصار في كل بقعة دويلة صغيرة لا تقوى على التماسك وحماية نفسها: لا من دويلة أندلسية أخرى ولا من دول الشمال المتربصة [2]، وهو ما اصطُلح عليه في كتب التاريخ بـ: عصر ملوك الطوائف« **وأشهرهم: بنو عبّاد بأشبيلية (1023-1091م) وبنو جَهْوَر بقرطبة (1031-1070م)، وبنو عامر بشاطبة (1021-1065م) وبنو هود بسرقسطة (1039-1110م) وبنو حمّود بمالقة (1035- 1057م)**» [3] والتي سمّاها الناقد "**أحمد هيكل**" في مؤلفه الموسوم ب: "الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط" « **بفترة الفتنة المبيرة** »[4]، حيث قال الناقد "**محمد عبد الله**

---

[1]-عمر فروخ : الأدب في المغرب والأندلس -منذ الفتح الإسلامي إلى آخر عصر ملوك الطوائف - (أواخر القرن الخامس للهجرة- الحادي عشر للميلاد)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ج4، ط2، 1984، ص: 165.

[2]-محمد رضوان الداية : في الأدب الأندلسي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص: 148.

[3] - حنا الفاخوري : الجامع في تاريخ الأدب العربي _الأدب القديم _ ، دار الجيل ، بيروت، لبنان ، ط1،1986 ط1 ص :892 _893.

[4] - أحمد هيكل : الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، 1985، ص:342.

عنان" في هذا الخصوص، -إذ يعتبر من الآراء المتميزة في أحوال الأندلس -:« **ذهب أهل الأندلس من الانشقاق و الانشعاب والافتراق إلى حيث لم يذهب كثير من أهل الأقطار**»[1].

وما نستشفه من قول الباحث أنّ "الأندلس" ما كانت تخرج وتنتهي فتنة إلّا ودخلت في فتنة أخرى؛ ولعلّ الفتنة الداخلية التي دارت رحاها بين " **الملك سليمان** " الملقب "**بالمستعين بالله**"* الذي استعان "**بالكونت شانجة غرسية بن فردیناد** " **Sancho Garcia (385-407هـ)** الملقب "**ابن مامه دونه** " أمير "قشتاله" فكان له ما أراد أن دخل "قرطبة" ووجد النصارى الفرصة مواتية للانتقام من المسلمين فأمعنوا في "القرطبيين" قتلًا، حتى قيل أنها تجاوزت ثلاثين ألف شخص [2]، وهو الأمر نفسه بالنسبة للمماليك الأخرى التي تناحرت من أجل توسعات شخصية وحتى إن كانت بمقاتلة أبناء جلدتهم وإخوانهم في الإسلام، وحتى إن كلفهم ذلك التنازل عن مدن وقواعد، وهو ما فعله المهدي: " **هشام بن محمد**" حتى تنازل "**لريموند البرشلوني**" و "**أرمُقند** عن مدينة "سالم"، ضف إلى ذلك الالتزام بدفع دينارين في اليوم لكل جندي نصراني، ومائة دينار للملك "القومس" و أن تكون لهم الغنائم من عسكر "البربر" و نسائهم وأموالهم [3] ، إضافة إلى تلك الحروب التي شنّها الصليبيون ضد المسلمين والتي تعرف "**بحروب الاسترداد**" La Reconquista القومية[4] والتي تراوحت بين تغلب "الاسبان" على المسلمين تارة ؛ حيث تم الاستيلاءُ على مدينة

---

[1]-محمد عبد الله عنّان : دولة الإسلام في الأندلس – العصر الثاني -(دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي) مكتبة الناجي، القاهرة، مصر، ط4، 1997، ص:15

*- هو سليمان بن حكم بن سليمان بن عبد الرحمان الناصر، كنيته أبو أيوب لقب بالمستعين بالله، شاعر وأديب استعان بأمير قشتالة للدخول إلى قرطبة غازياً.

[2]-ابن عذارى المراكشي: البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمَغرب، تح: ج س كولان وكوفي بروفينسال، دار الثقافة بيروت، لبنان، ج3، ط3، 1983، ص: 94.

[3]- المرجع نفسه، ص: 95.

[4]- محمد عبد الله عنّان : نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة ، القاهرة مصر، ط3 ، 1966 ، ص : 74.

"**طليطلة**" وانتزاعها من يدي صاحبها " **يحي بن ذي النون** " سنة 478هـ، بقيادة "**ألفونسو السادس**" وانتصار المسلمين تارةً أخرى بقيادة "**المرابطي يوسف بن تاتشفين** "* في **موقعة** "**الزلاقة**"* **(479هـ-1086م)**، ليخلفهم بعد ذلك الموحدون بانتصار آخر في معركة "**الأرك**"* على حساب ملك "قشتالة" "**ألفونسو الثامن**"(**593هـ-1195م)** وتوحيد الأندلس تحت راية الموحديــن.

لتتوالى بعد ذلك تقهقر نفوذ الدولة الإسلامية في "**موقعة الُعقاب**"* سنة (**609هـ-1212م)** بسقوط المدن الإسلامية تباعًا: "قرطبة" 633هـ/"بلنسية" 636هـ/ "مرسية" 641هـ/ "شاطبة" و"دانية" 644هـ/ "اشبيلية" 646هـ، فتنحصر بذلك الدولة الإسلامية في مملكة "غرناطة".

كل هذه الفتن الداخلية والخارجية التي ميزت الحالة السياسية لعصر ملوك الطوائف وما تضمنته من نتائج يَندى لها الجبين لتخاذل المسلمين واستهتارهم، مما جعل الفرد الأندلسي يعيش حالة اللا استقرار ولا أمن، وضياعٍ وتشتتٍ الأمر الذي أفضى إلى الشعور بالاغتـواب فـي وطـنٍ لطالمــا عمّــره لقـــرون عدة.

إن ما آلت إليه مدن الأندلس من دمار، أثار في نفوس شعرائها حُرقة دامت في قلوبهم كلما مروا بالأطلال تذكروا فيها مرابع صباهم وأيامهم بين أشجارها وأنهارها وكان لكل شاعر طريقته في التعبير عن اغترابه وقد كانت هذه النكبات قد أدت إلى استحداث فنٍ نَظَمَ الشاعر "الأندلسي" فيه وهو فن رثاء المدن والمماليك، فجادت قرائهم

---

* - يوسف بن تاشفين ابن إبراهيم اللمتوني الصنهاجي(400-500هـ) قائد وأمير مسلم، استطاع بفضل حنكته وقيادته أن يُوحد المغرب وأن يضم بلاد الأندلس إلى ملكه، تحت تسمية المرابطين، قاد معارك عديدة أبرزها الزلاقة.

* -الزلاقة: هي معركة دارت رحاها بين يوسف بن ت اشفين- حين استنجد به ملوك الطوائف- وألفونسو السادس ملك قشتالة، انتهت بهزيمة هذا الأخير.

* -الأرك: هي محله صغيرة من أعمال قلعة رباح، تقع على مسافة أحد عشر كيلو متر في غربي مدينة ثيودال ريا ل الحديثة، وتقوم فوق ربوة عالية، وهي من الثغور.

*العُقاب: حصر قريب من البيرة، والعقاب بك سر العين: الموقع الذي جرت فيه المعركة بين الموحدين والأسبان، عام 609هـ.

بشعر يفيض حنينًا وشوقا إلى الوطن المسلوب فكثر النظم في هذا الموضوع عنـد الشعـراء فـي الأندلـس.

ويعد "**أبو البقاء الرندي** " ـ كفرد من هذا المجتمع ـ من بين الذين طالهم حس الاغتراب حيث استطاع أن يصور لنا ذلك المشهد المأساوي بعد ذلك الانهيار و التَّضَيُّع الذي وقع من أهل الأندلس و المغرب، و من ذلك يمكن اعتبار نونية "**أبي البقاء الرندي** " قصيدة تحكي اغتراب الفرد داخل مجتمعه من خلال تصويره لحالة التفكك و التراجع .

يقول "**أبـو البقـاء الرنـدي**" في هـذا الشـأن [1] :

دَهَـى الجَزِيـرَةَ أَمـرٌ لَا عَزَاءَ لَهُ هَـوَى لَـهُ أُحُـدٌ وَ انْهَـدَّ ثَهْـلَانُ

أَصَابَهَا العَيْنُ فِي الإسلام فَامْتَحَنَتْ حَتَى خَلَتْ مِنْـهُ أَقْطَـارُ وَبُلْـدَانُ

فَاسْأَلْ بَلَنْسِيَةَ مَا شَـأْنُ مُرْسِيَـة وَأَيْـنَ شَـاطِبَـةُ أَمْ أَيْـنَ جَيَّـانُ

وَأَيْـنَ قُرْطُبَـةُ دَارُ العُلُومِ، فَكَـمْ مِـنْ عَالِـمٍ قَـدْ سَمَـا فِيهَا لَهُ شَـانُ

وَأَيْنَ حِمْصُ وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نُـزَهٍ وَنَهْرُهَـا العَـذْبُ فَيَّـاضٌ وَمَـلْأَنُ

قَوَاعِـد كُـنَّ أَرْكَـانَ البِلَادِ فَمَـا عَسَـى البَقَـاءُ إِذَا لَـمْ تَبْقَـى أَرْكَـانُ.

فالشاعر يتحدث في هذه الأبيات– خصوصاً– عمَّا حلَّ ببلاد الأندلس، من سقوط مدنٍ لطالما شكّلت كلّ واحدةٍ منها وطنًا (وطن داخل وطن) ، بعد أن تنازل " **ابن الأحمر** " على عدّة حصونٍ بلغت المئات "للاسبان"، فسقط لهول الفاجعة جبلان عظيما هما : "أحد" و"ثهلان". فنجد الشاعر يتساءل عن تلك المدن التي كانت منارة وقطبًا للعلم والعلماء، وعن مدنٍ لطالما عُرفت ببساتينها وروضاتها الغنَّاء (اشبيلية).

من خلال "نونية" هذا الشاعر "الأندلسي" نستطيع التأريخ لأبرز الأحداث التي عرفتها البلاد، فقد عرفت الحروب ضد الإنسان التي لم تكن لتهدأ إلا وتثور

[1]– أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج4، ص:487.

من جديد، كما مرّ من الحكم الأندلسي مجموعة من الحكام، كان الأندلسيون فيها بين القوة والازدهار وبين تخاذل وضعف ، فالفتنة التي أصابت الأندلس عقب سقوط الخلافة وانقسامها إلى طوائف وإمارات متصارعة فضلًا عن تربص المماليك المسيحية بها، والحروب المستمرة التي لا تكاد تتوقف، جعلت حياة الأندلسي مضطربة، لا ينعم فيها أحد – بما في ذلك الشعراء– بالاستقـــرار.

فعرف "**أبو البقاء** " مرارة الاضطهاد والصراع، وذلك ما يبرز من خلال "نونيته" المليئة بالأسى والحزن والشكوى والشعور بالاغتراب والحنين إلى الاستقرار.

فهذه الأحداث السياسية التي هزت دولة الأندلس كانت ذات أثر بالغ على المجتمع الأندلسي أيضا.

2 . العامـــل الاجتماعـــي:

لقد كان للحياة السياسية التي مرّ بها "عصر ملوك الطوائف" من حروب وفتن داخلية وخارجية، بالغ الأثر في الحياة الاجتماعية، خاصة مع سقوط الحصون الأندلسية تباعًا فوجد الفرد نفسه مرغمًا على الترحال بُغية تأمين الحياة الكريمة، فتعرض هذا الأخير لمختلف أنواع الاغتراب.

إنَّ المتأمل للبنية الداخلية للمجتمع الأندلسي، يجدُ بأنه خليط من الأجناس،« **ومكونًا من عناصر شتى، فقد كان فيه أهل البلاد الأصليون وفيه الوافدون من عربٍ وبربر، ثم فيه الموالي المنسوبون إلى أقطار شرقية مختلفة، والمماليك المجلوبون من بلادٍ غربية عديدة**»[1] وكان في مقدمتها العنصر العربي الذي وفد إلى الأندلس في تيار متصل على صورة جنودٍ فاتحين، ولعلّ أوّل جماعة عربية كبيرة اندفعت إلى الأندلس جاءت

[1]–أحمد هيكل : الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص:30.

في ركب "**موسى بن نصير** "،الذي قرّر العبور إلى "الأندلس" سنة **93هـ**[1] مصطحبًا معه جيشًا جعله من العرب، ويقال أنه كان معه ثمانية عشر ألفًا من الجنود الفاتحين [2]، فاستقر العرب في عدد من المدن الأندلسية **ك"بلنسية"** وغيرها، إضافة إلى "البربر" الذين كثروا في "الأندلس" خاصة في الفترة القريبة من الفتح [3] فكانوا بذلك يمثلون عنصرًا هامًا من عناصر السكان، فلقد « **ظلت بلاد المغرب مصدرًا للهجرات البربرية إلى الأندلس وكان حكّام الأندلس يستكثرون من "البربر" العدوة ويعتمدون عليهم في جيوشهم**» [4] فنعموا بحياة استقلالية عن العرب، حيث قاموا بتربية المواشي وغرس الأشجار خاصة بمنطقـــة "**رنـــــــدة**".

كما نجد أيضاً عنصر الموالي « **الذين انتقلوا إلى الأندلس محتفظين بولائهم للبيت الأموي**»[5]، حيث لعبوا دورا هاما في تاريخ الأندلس ، كما شكل العنصر اليهودي قسما هاما من سكان الأندلس [6] فكانوا يقطنون في معظم مدن الأندلس، على شكل تجمعات منعزلة عن المسلمين في أراضٍ خاصة بهم، إضافة إلى المستعربين وهم: « **نصارى الاسبان الذين كانوا يعاشرون المسلمين ويتكلّمون العربية مع احتفاظهم بدينهم ومعتقداتهم فكان العرب**

---

[1]–عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الحكم: فتوح إفريقيا والأندلس، تح: عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، دط، 1964، ص: 76.

[2]– أحمد هيكل : الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، ص:32.

[3]– محمد رضوان الداية: في الأدب الأندلسي، ص: 22.

[4]–السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر ، دط، 1998, ص: 122.

[5]– محمد رضوان الداية: في الأدب الأندلسي، ص: 23.

[6]–خميسي بولعراس: الحياة الاجتماعية والثقافية، للأندلس في عصر ملوك الطوائف، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ،جامعة الحاج لخضر، باتنة ،الجزائر، 2007، ص: 54 .

يسمونهم بالعجم »[1] وكذا المولدون؛ حيث يرى الناقد "**السيد عبد العزيز سالم** " أنهم نتيجة للمصاهرة بين المسلمين وأهـل البـلاد[2].

كما يتألف المجتمع الأندلسي من نوع يسمى "بالصاقلبة"*، الذين عرفهم المجتمع الأندلسي في وقتٍ مبكر من أيام " **عبد الرحمن الداخل** " فأقيمت لهم دويلات مستقلّة في "**بلنسية**" "**وطرطوشة**" وغيـرها.

ومن هنا– انطلاقًا من المعطيات السابقة– يمكن تمييز طبقتان اثنان هما: الطبقة الارستقراطية(خاصة) وتضم العرب وكبار ملّاك الأراضي، والطبقة العامة (وسطى وسفلى).

وكل هذه التكوينات العرقية ساهمت وبشكل ملحوظٍ في تغذية الصراع بين "العرب" و"البربر" واضطراب العلاقات بينهما.كتلك الثورة التي قاموا بها ضد السياسة التي انتهجتها الدولة الأموية[3] ومفادها سيادة العنصر العربي وفرض الجزية، وعدم المساواة بين العناصر الأخرى من "يهودٍ" و"صقالبة" و "مولدون"، كما لم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل وصل إلى غاية أن بعض الأعمال والتي نجد بأن العنصر العربي يترفع عن مزاولتها، يميل في كثير من الأحيان إسنادها إما إلى اليهود كالرعي وغيره من الأمور، كل هذا أدى إلى وجود اضطراب وانشقاقات على مستوى البنية الاجتماعية، مما دفع الكثير من المغلوبين على أمرهم لنزوح إلى مدن أخرى طلبًا للعيش الرغيد والأمن والاستقرار، وهو أيضا السبب المباشر الذي دفع بهم إلى مؤازرة "**يوسف بن تاشفين**" إلى القضاء على نظام الطوائف.

لقد أثرت هذه الظروف كثيرًا في نفسية أهل الأندلس خاصة الشعراء الذين دفعتهم هذه الصراعات والأزمات السياسية والتاريخية والاجتماعية إلى التعبير عن رفضهم للأوضاع والسخط على الحاكم بشعر يفيض أسى وألمًا على حال الأندلس ووصفًا منهم للأحوال

---

[1]– السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، ص:130.

[2]–خميسي بولعراس: الحياة الاجتماعية والثقافية، للأندلس في عصر ملوك الطوائف ، ص: 51 .

[3]– المرجع نفسه ، ص: 44 .

الاجتماعية التي ميزها الشقاء والإحساس بالقلق وعدم الاستقرار داخل المجتمع الأندلسي فالتاريخ الأندلسي كله تاريخ مواقف متتابعة من القلق واضطرابات ومحاولات الانفصال وتعليلهم لهذه الظاهرة هو التباين الواضح بين الأجناس التي يتركب منها المجتمع الأندلسي[1]. وهذه العوامل الاجتماعية ترتبط في واقع الأمر بالجانب الحضاري للمجتمع الأندلسي عامة وهو يمثل الجانب الحياة اللاهية، فقد عرف ميل الأندلس إلى ألوان من المتعـة وصنـوف من الله ـو كالشراب والغناء والرقـص[2]

ففي ذلك يقول أبـو البقـاء[3]:

مَاشِيًا مَرِحًا يُلْهِيهِ مُوطنُهُ أَبَعْدَ حِمْصٍ تَغُرُّ المَرْءَ أَوْطَان

فالشاعر الأندلسي دفعه الشعور بالاغتراب داخل المجتمع الأندلسي إلى الارتماء في أحضان اللذة ومجالس اللهو هروبًا من الواقع المتردي فأجواء الطرب وذلك النعيم المادي كان يخففُ من ذلك الشعور الذي خلق إحساسًا بالقلق وعدم الاستقرار.

بمعنى أنه كان هناك جو ساحر يقابله على المستوى الخارجي فتن واضطرابات جعلت الشاعر والمجتمع الأندلسي يسعى إلى اختلاس اللذة ولحظات المتعة قبل تقلب الدّهر.

لقد كانت هناك عوامل أسهمت في ظهور شعر الاغتراب ومن أهمها بعض التحولات والأحداث السياسية والاجتماعية التي مرت بها بلاد الأندلس من صراعات داخلية بين عناصر القوة في المجتمع الأندلسي، فضلا عن صراعات المماليك الإسلامية مع القوى الخارجية، وبروز الفتنة بعد سقوط الخلافة الأموية، وما نتج عنها من صراع مرير بين عناصر المجتمع الأندلسي . فقد عاش المبدع بشكل عام هذه الظروف والشاعر بشكل خاص حيث ظهرت تجلياته في شعره فسجله في قصائد وثقت الكثير من أحداث تلك الحقبة الزمنية المؤلمة من تاريخ المسلمين في بلاد الأندلس.

---

[1]– محمد زكريا عناني: تاريخ الأدب الأندلسي، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، مصر، دط، 1999، ص: 39.

[2]– المرجع نفسه، ص: 40.

[3]-أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج4، ص:487

المبحث الثاني: أنماط الاغتراب في القصيدة:

إن تصنيف أنماط الاغتراب يكون في الأساس على وفق الدوافع التي تؤدي إليه، فمن خلال قراءتنا للقصيدة نجد : الاغتراب المكاني، الزماني، نفسي، وحتى ديني...إلخ.

1 . الاغتراب المكاني:

لا يشكل المكان الحاضن الجغرافي للإنسان وحسب، بل يشكل الحاضن الطبيعي والاجتماعي والنفسي أيضا،و بما أن الاغتراب قَدَرُ الشاعر العربي منذ القدم، فقد فرضت عليه ظروف بيئته القاسية ؛ إذ حاول تصوير ذلك الإحساس حينما ينتقل من مكان إلى مكان لتحقيق رغباته وأحلامه واصفًا إحساسه بالاغتراب وذاكرًا تلك الأقاليم أو المدن التي توجه إليها.

يشير الباحث " **حبيب مونسي** " في مقدمة كتابه " فلسفة المكان في الشعر العربي" أن المكان يرتبط في الأساس بالتحليل الروائي، لكونه مجالاً تجري فيه أحداث القصة [1] إذ إن الأحداث وتطوراتها لابدّ لها من فضاء (مكان) تنمو وتتطور فيه.

فشاعر الأندلس "**أبو البقاء الرندي**" قد اضطر وَأُجبر على ترك وطنه في ظل تلك الظروف والأوضاع المُتَرَدِيَة عَقِبَ سقوط الخلافة، وقيام الفتنة، فهاجر وتغربَ باحثا عن مدن أكثر أمنًا واستقرارًا داخل الأندلس أو خارجها.

يعد الاغتراب المكاني من أبرز الأنماط التي عانى منها الشعراء منذ عصر الجاهلية إلى غاية العصر الأندلسي، ويعتبر "**أبو البقاء الرندي**" من الشعراء الذين طالهم هذا النوع. فبعد أن توفرت العوامل التي ساعدت الشاعر على الترحال والتنقل إلى بلاد غير بلاده طلبًا للراحة والأمان« **إذ ذهب علماء الاجتماع إلى أن الإحباطات التي يحس بها ساكن المدينة**

---

[1]– حبيب مونسي: فلسفة المكان في الشعر العربي– قراءة موضوعاتية جمالية– ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر دط، 2011، ص: 3.

إنّما هي نتيجة صراع أساسي بين القيم المختلفة »[1]، فالفرد في صراع داخلي بين ذاته وبين الآخرين، بين انطلاقه وحريته وبين سلطة الجماعة المفروضة عليه، وهذا ما نلمسه في نونية "**أبي البقاء**" ككل « **غير أننا عرفنا أنه عاش في مدن مملكة غرناطة الكبرى كلها، "اشبيلية" و"مالقة" و"غرناطة" و"رندة"، طالبًا أو ناشئًا أو مترددًا** »[2]فقد كان غريبًا يشكو أو نائيًا يحن إلى أي مكان يشتاق إليه .

فالأندلس بوصفها« **الجنة الضائعة أو الفردوس المفقود** »[3]، مثلت جمالية المكان المطلق وذاكرة مفجوعة بفقدان الوطن، فيقول "**أبو البقاء الرندي**"في مدن الأندلس الضائعة[4]:

فَاسْأَلْ بَلَنْسِيَةُ مَا شَأْنُ مُرْسِيَة وَأَيْنَ شَاطِبَةُ أَمْ أَيْنَ جَيَـــانُ

وَأَيْنَ قُرْطُبَةُ دَارُ العُلُومِ، فَكَــمْ مِنْ عَالِمٍ قَدْ سَمَا فِيهَا لَهُ شُبَّانُ

وَأَيْنَ حِمْصُ وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نُزُهٍ وَنَهْرُهَا العَذْبُ فَيَّاضٌ وَمَــلأْنُ

عند تنقل الشاعر إلى مدينة "غرناطة"–حسب بعض المصادر–؛ كان يدب فيه هناك الشعور بالاغتراب المكاني وحنينه إلى هذه المدن التي لطالما مثلت وطنا له، فنجده يتساءل عمّا حل بها من حرب ودمار وخراب؛ فبكى فيها قواعد الإسلام الذاهبة وهي "اشبيليــة " "قرطبة"، "مرسية"، و"شاطبة"، و"جيان" إضافة إلى المئات من الحصون والقرى التي سقطت في يد النصارى، فقد كانت قواعد الإسلام حصينة، أما مدنه فكانت زاهرة.

لقد ارتبط "**أبو البقاء الرندي**" « **عاطفيا بمعظم المدن التي سقطت، إن لم يكن بها كلها وله فيها ذكريات من أيام الطلب أو ما بعدها** »[5]، حيث كشف لنا الشاعر عن جراح

---

[1]-إحسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط 1978، ص: 91.

[2]-أحمد مكي: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص: 285.

[3]– جمال مجناح: دلالات المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد 1970، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2008، ص: 353.

[4]-أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج 4، ص: 487.

[5]- الطاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص: 313.

لم يشفها الدهر ودموعٍ لم تنشف أيضا. نتيجة لسقوط الأندلس لتقاعس أهلها وتربص الكفـار بهـم.

قُدر على الأندلسيين أن يعيشوا الاغتراب , الأمر الذي دفعهم إلى هجر ديارهم و فراق أهلهم فذاقوا مرارة الضياع و التشتت ؛ فمنهم من رحل إلى المشرق و منهم من نزل بالمغرب كـ" **أبي البقاء الرندي**" ، فكنت تجربة الاغتراب عميقــة فــي نفســه .

إنّ تجربة الاغتراب عند " **أبي الطيب الرندي**" تجربة موغلة في القسوة، فقد صور لنا هذا الشعور في "نونيته"، والتي كنت تدور حول معاني النكسة والانكسار، بعد أن فقدت الدولة الإسلامية في الأندلس معظم قواعدها الكبرى في وابـل مـروع من الأحداث.

فنجد الشاعر باكيا حال تلك الأماكن التي كان يلهو فيها مع صحبه ويتحسر على دمارها، متأملا الأطلال باكيا حال تلك الأماكن التي غيرتها السنون إلى أسوأ حــال فيقــول[1]:

حَيْثُ المَسَاجِدُ صَارَتْ كَنَائِسَ مَـا فَيهِـــنَّ إِلَا نَوَاقِيـــسُ وَصُلْبَــانُ

فرغم ما حصل مثلا لهذه الأماكن المقدسة من خراب ودمار؛ إلا أنها تبقى في قلب الشاعـر أجمل الأماكن لأنها تحمل ذكرياته الخالية، ولذلك نجده يبكي ويشكي حال بلاده التي يحن إلى أيامها الزاهية الهادئة المشرقة، كما يتمنى عودة عهدها الأول المنير.

كان "**أبو البقاء** " من الشعراء الذين شهدوا وقائع سقوط الأندلس السبب الذي أدى به إلى النظـم في غرض رثـاء المــدن والمماليــك الزائلــة.

[1]– أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج 4، ص: 487.

2 . الاغتــراب الزمــانـــي:

يعد "الدهر" أو "الزمن " من الموضوعات التي لطالما شكلت تحديا ومصدر قلــق وخوف وهاجس يؤرق الإنسان العربي منذ القدم إلى وقتنا الحالي، هذا الأمر الأخير الذي أدى إلى أن يدين بالعداء والبغض لما له من فعل التأثير دون التأثر، فوصل الحال بهم إلّى أن وصفوه في أشعارهم بأقبح العبارات والصفات فهذا "**امرؤ القيس**" يصف لنا الزمن بأنه" غُولٌ" خوان العهود فيقــول[1]:

أَلَمْ أُخْبِرْكَ أنَّ الدَّهْرَ غُولٌ خَتُورُ العَهْدِ يَلْتَهِمُ الرِجَالَا

أَزَالَ مِنَ المَصَانِعِ ذَا رِيَاشٍ وَقَدْ مَلَكَ السُهُولَةَ وَالجِبَالَا

فالشاعر في هذين البيتين يصف لنا الدهر بأنه غول، خائن للعهد مخادع، يبيد الرجال عن بكرة أبيهم، فيمثل لنا "بذو رياش" وهو أحد ملوك "اليمن".

ويقول "**زهير بن أبي سلمى**" في الدهر:[2]

بِدَا لِي أَنَّ النَّاسَ تَفْنَى نُفُوسُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ، وَلَا أَرَى الدَّهْرَ فَانِيًا

فـ "**زهير**" يتعجب من تلك المفارقة العجيبة الغريبة، التي مفادها أن الناس تفنى وتتنفي من الوجود في حين أن الدهر لا يطاله التغيير، ومستمر إلى غير نهاية.

يمثل الاغتراب الزماني نمط آخر من أنماط الاغتراب، فهو «**قوة فعالة مؤثرة في الإنسان إذ بات الزمن يمثل دورا أساسيا في تشكيل ظاهرة الاغتراب الإنساني**»[3]؛ فقد حمل مفهوم الزمن كل المرادفات الدلالية التي توحي بذلك المفهوم وفعاليته في خلق تحولات

---

[1]– امرؤ القيس: الديوان، ص: 147.

[2]– زهير بن أبي سلمى: الديوان، شرحه: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1988 ص: 140.

[3]– أحمد علي الفلاحي: الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري(دراسة اجتماعية نفسية)، ص: 75.

جديدة قد تسير بالإنسان باتجاه الفقد، الاستلاب كالدهر والأيام والسنين، وقد أضحى الصراع مع الزمن من الهمـوم التي أرَّقت الشاعـر فـي اغترابــه[1].

بما أن الشعر الأندلسي هو امتداد للشعر المشرقي، لم يخلو هو الآخر(الشعر الأندلسي) من شكوى الدهر، في ظل ما كان سائدا في بعض الفترات التاريخية في شبه الجزيرة من فتن وصراعات سياسية داخلية وخارجية.

إذْ تمثل لنا الأبيات من 01 إلى غاية البيت 14 من القصيدة اغترابا زمانيا؛ فالشاعر في مطلعها يشير بادئ الأمر إلى حكمة تمام الأشياء ونقصانها، فيقول في هذا الصدد[2]:

لِكُـلِ شَيْءٍ إِذَا مَا تَـمَ نُقْصَــانُ فَـلَا يُغَـرُّ بِطِيـب العَيْـشِ إِنْسَانُ

هِيَ الأُمُورُ كَمَا شَاهَدَتْهَا دُوَلٌ مَنْ سَرَّهُ زَمَانٌ سَاءَتْــهُ أَزْمَــانُ

يشير "**أبو البقاء**" إلى أن حالة التمام والنقص، سُنة الله في خلقه، وحال تمر بها جميع الكائنات؛ فتبدأ بضعف ثم تنمو لتقوى لتعود وتضعف آخر المطاف حتى تَأْفُلَ، والدول كالأفراد، فالوضع الذي وصلت إليه الأندلس أمر طبيعي وحتمية لابد والمرور بها في أي عملية تكوين وهذا ما يبرزه لنا المخطط التوضيحي التالي:

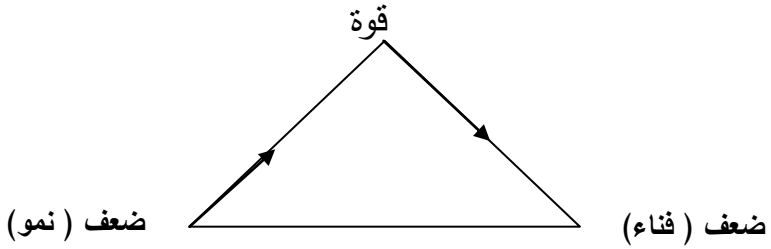

فهذا المعنى استمـده مــن قولــه تعالى: ﴿ **وَتِلْـكَ الْأَيَّــامُ نُدَاوِلُهَـا بَيْنَ النَّـاسِ**﴾ **(سورة آل عمران , الآية : 140)** ، ليواصل الشاعر بعد ذلك سرد لتقلبات الدهر

[1]– كمال أبو ديب: الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي، الهيئة العامة للكتاب، دط، 1986 ص: 324.

[2]- أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج 4، ص: 487.

فيقـــول[1]:

وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تَبْقى عَلَى أَحَـــدٍ وَلَا يَدُومُ عَلَى حَـــالٍ لَهَا شَـانُ

يُمَزِّقُ الدَّهْرُ حَتْمًا كُلَّ سَابِغَـــةٍ إِذَا نَبَّتَتْ مُشْرَفِيَـاتُ وَخُـرْصَانُ

وَيَنْتَضِي كُلُّ سَيْفٍ للفَنَـاءِ وَلَوْ كَانَ ابْنَ ذِي يَزَنٍ وَالغِمْدُ غِمْدَانُ

فالدنيا لا تدوم على حال واحدة؛ فهي في إقبال وإدبار، وكما قيل يوم لك ويوم عليك.

ليتحول الشاعر في موضع آخر من القصيدة إلى سارد للتاريخ، فكان في مجمله سردا استفهاميا تعجبيا، فيقرأ صفحات هذا التاريخ قراءة اعتبارية تحولهاّ إلى سلسلة من الأسئلة الواضحة الإجابة المؤكدة الحقيقية؛ ألا وهي حقيقة الفناء التي كتبها الخالق سبحانه وتعالى على جميـع المخلوقـات فيقـول"الرنـدي" [2]:

أَيْنَ المُلُوكُ ذُوو التِّيجَانِ مِنْ يَمَنٍ وَأَيْـنَ مِنْـهُـمْ أَكَالِيـــلُ وَتِيجَـانُ

وَأَيْنَ مَا شَـــادَهُ شَدَّادُ فِـي إِرَم وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الفُرْسِ سَاسَانُ

وَأَيْـنَ مَا حَازَهُ قَـارُونُ مِنْ ذَهَبٍ وَأَيْـنَ عَـادٌ وَشَـدَّادُ وَقَحْطَـانُ

أَتَى عَلَى الكُلِّ أَمْرٌ لَا مَـرَدَّ لَـهُ حَتَى قَضَـوا فَكَأَنَّ القَوْمَ مَا كَانُـوا

وصَارَ مَا كانَ مِنْ مَلِكٍ و مُلْـكٍ كَمَا حَكَى عَنْ خَيَالِ الطَّيْفِ وَسِنَانُ

دَارَ الزَّمَـــانِ عَلَى دَارَا وَقَاتِلِـهِ وأَمَّ كِسْـــرَى فمـــا آواه إيـــوانُ.

كأنما الصَّعْبُ لَمْ يَسْهَل لَهُ سَبَبٌ يَـــوْمًا وَلا مَلِـــكَ الدُّنْيَـــا سُلَيْمانُ

لقد رحل الشاعر مع طيف التاريخ بحثا عن زعمائه الهالكين ورسومٍ دارسة – رغبة في المواساة– فما وجد إلا رسوما توحي بالوحشة والحزن منقوشة بفسيفساء الفناء (اليمن، إرم، إيوان) , والشخصيات هالكة (شداد،ساسان، قارون، عاد، قحطان) فلو كان للدنيا بقاء لبقيت قصور "سليمان" عليه السلام ومدنه التي تفنن فيها الصناع.

[1]- أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج 4، ص: 488.

[2]- المرجع نفسه ، ص: 487.

قال تعالى: ﴿**أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (16) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (17)**﴾ **(سورة المرسلات , الآيتين :16 و 17).**

ولنبين مدى شدة وقع الاغتراب الزماني على الشاعر، كان لابد أن نحصي تكرار لفظة الزمن ومفرداتها في القصيدة و ذلك من خلال الجدول التالي:

الكلمـــــــــة	التكـــــــرار
الزمان + الزمن	**04**
الدّهر	**05**
الأمس	**01**
اليوم	**02**

من خلال استقرائنا للجدول المبين أعلاه، نجد بأن لفظة الدّهر" تتكرر في القصيدة خمس مرات بالمقارنة مع ألفاظ " الزمن/ الزمان"، "الأمس" ، " اليوم" ؛ والسبب وراء هذا الشيوع كون « **لفظ الدهر من أكثر الألفاظ دورانًا في كلام الجماعة العربية** »[1] وهو ما يحيل لنا على سرمدية وأزلية الأحداث التي مرت بها الأندلس، وأن ما يمر به الشاعر من حالة شعورية , التي تتراوح بين الحزن والخوف إنما هي حالة مستمرة ودائمة.

[1]- كريم زكي حسام الدين: الزمان الدلالي– دراسة لغوية بمفهوم الزمن وألفاظه في الثقافة العربية–، دار غريب، القاهرة مصر، ط 1 ،2000 ،ص: 128 .

3 . الاغتــراب النفســي :

بداية السؤال الذي يفرض نفسه في البحث ومفاده: هل هناك نوع من الاغتراب يسمى بالاغتراب النفسي؟

تجدر الإشارة في بادئ الأمر إلى أن الباحثين قد واجهوا صعوبة في إطلاق تسمية الاغتراب النفسي كنوع آخر –إضافة إلى الأنواع الأخرى– وهذا راجع لتضافر مجموعة من الأبعاد السياسية، الاقتصادية والاجتماعية وتداخلهم فيه، وهذا ما أشار إليه الناقد "**عبد اللطيف خليفة** " في كتابه: "دراسات في سيكولوجية الاغتراب "، فيقول في هذا الصدد: «**على الرغم من شيوع مفهوم الاغتراب النفسي، فإنه من الصعب تخصيص نوع مستقل نطلق عليه الاغتراب النفسي وذلك نظراً لتداخل الجانب النفسي للاغتراب وارتباطه بجميع أبعاد الاغتراب الأخرى: الثقافي، والاقتصادي، والسياسي...إلخ**»[1].

ومن هذا المنطلق كان الاغتراب النفسي تحصيل حاصل لتوفر مثيرات خارجية (صراعات)، فتنتقل هذه الصراعات إلى المحيط الداخلي (النفس) فيحدث ما يسمى بالاغتراب النفسي، مما يخلق لنا: قلقاً، خوفاً واضطراباً والذي يؤدي بدوره إلى عزلة ولا انتماء ، لا معنى، تمرد، فينفصل الفرد عن الآخرين، ويتخلى عن الحياة الاجتماعية الأمر الذي يوحــي لنا مـن الوهلة الأولى بأن المغتــرب نفسياً بالضــرورة مغترب اجتماعيا.

وفي هذا الإطار يعرفه "**عبد اللطيف خليفة** " بقوله:« **مفهوم عام وشامل يشير إلى الحالات التي تعترض فيها وحدة الشخصية للانشطار أو للضعف والانهيار، بتأثير العمليات الثقافية والاجتماعية التي تتم داخل المجتمع**»[2].

أي أن الاغتراب النفسي= الاغتراب السياسي +الاغتراب الاقتصادي+الاغتراب الاجتماعي+الاغتراب الثقافي.

---

[1]- عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، ص:80.

[2]-المرجع نفسه، ص:80.

يشتمل الاغتراب النفسي على نوعين أساسيين هما:

- اغتراب عن الذات(موضوع الدراسة).
- اغتراب عن الآخرين.

يميز "**إريك فروم**" في كتابه ،"المجتمع السوي" بين نوعين من الذات:

- **ذات أصيلة:** وهي ذات فريدة غير قابلة للتكرار، بحيث يتسم صاحبها بكونه شخصاً مفكراً وقادراً على الحب والإحساس والإبداع[1].
- **ذات مزيفة:** « **وهي الذات التي اغتربت عن نفسها وانفصلت عن وجودها الإنساني الأصيل**»[2] وهي ذات تتسم بالعجز؛ إذ يقابلها عند الباحثة "**هورني**" الذات الفعلية والذات الحقيقية، كما يغلب على الاغتراب النفسي جملة من المظاهر الدّالة عليه منها: العجز/اللاهدف/اللامعنى / اللامعيارية/ العزلة الاجتماعية/ التمرد.

حفل الشعر العربي القديم بذيوع وانتشار هذا النوع من الاغتراب، على غرار الاغتراب المكاني وكذا الاغتراب الزماني، ومن بين الشعراء الذين عانوا من اغتراب نفسي في أقصى درجاته " **عنترة بن شداد العبسي** "؛ وهذا راجع إلى كونه أسود البشرة وابن آمة، فيقول معبراً عن اغترابه النفسي وسط أهله وقبيلته:[3]

إِذَا الرِّيْحُ هَبَّتْ مِنْ رُبَى العَلَمِ السَّعدي طَفَا بَرْدُهَا"حَرَّ الصَبَابَةَ وَالَوَجدِ

وَذَكَّرَنِي قَوْماً حَفِظْتُ عُهُودَهُمْ فَمَا عَرَفُوا قَدْرِيْ وَ لاَ حَفِظُوْا عَهْدِي

فاغتراب "**عنترة**" –حسب هذه الأبيات لم يكن سببه ودافعه سياسيا أو اقتصاديا، بل كان ظلم وقهر أهله لهُ، رغم أنه كان من المدافعين عن حِمى القبيلة، فيقول في هذا الصدد:[4]

إِذَا فَاضَ دَمْعِيْ وَأَسْتَهَلَّ عَلَى خَدِّيْ وَجَاذَبَنِيْ شَوْقِيْ إِلَى العَلَمِ السَّعدي

---

[1]- حسن حمادة: الإنسان المغترب عند إريك فروم، ص:116.

[2]- المرجع نفسه ، ص:121 .

[3]- عنترة بن شداد: الديوان، اعتنى به وشرحه: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2004، ص.110.

[4]- المرجع نفسه، ص: 102.

أَذْكُــرُ قَوْمِـــي ظُلْمَـــهُمْ وَبَغْيَهـُم وَقِلَّةَ إِنْصَافِيْ عَلَى القُرْبِ وَالبُعْدِ

بَنَيْتُ لَهُمْ بِالسَّيْفِ مَجْداً مُشَيَّـــداً فَلَمَّا تَنَاهَى مَجْدُهُمْ هَدَمُوا مَجْدِي.

فبرّغم من حميّة " **عنترة**" واستمالته في الدفاع عن قبيلته إلاّ أنه لم يسلم من بغي أفراد قبيلته الأمر الذي ولّد لديه ألم وحسرة في نفسيته، وهو ما يُقِّر به " **طرفة بن العبد**"أيضا، فيقـــول:[1]

وَظُلْمُ ذَوِي القُرْبَىْ أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى المَرْءِ مِنْ وَقْعِ الحُسَامِ المُهَنَّدِ

أما في الشعر الأندلسي فكان لتوالي سقوط المدن الأندلسية تباعاً، عظيم الأثر في نفسية الشاعر–خاصة– الأمر الذي دفع به إلى أن يعاني من اغتراب نفسي حادٍ و المتمثل في اغتراب الشاعر عن مجتمعه و عن القيم التي ما لبث المجتمع الأندلسي في تبنيها خاصة مع ما أصاب الأندلس من ذلك الأمر العظيم ، فيقول " **الرندي**" في هذا الخصوص :[2]

يَا غَافِلاً وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَـــةٌ إِنْ كُنْتَ فِـــي سِنَـــةٍ فَالدَهْـــرُ يَقْظَـانُ

وَمَاشِيًـــا مَرِحًـا يُلْهِيـــهِ مَوْطِنُـــهُ أَبَعْـــدَ حِمْـصٍ تَغَـرُّ المَـــرْءُ أَوْطَـــانُ

تِلْكَ المُصِيبةُ أَنْسَـــتْ مَا تَقَدُمِهـــا وَمَـــا لَهَا مَـــعَ طُولِ الدَّهْـــر نِسْيَـــانُ

يَـا رَاكِبِيـنَ عِتـــاقَ الخَيْـلِ ضامـرة كَأَنَهَـــا فِي مَجَـالِ السَبْـــقِ عُقْبَـــانُ

وَحَامِلِيـــنَ سُيُـــوفَ الهِنْـــدِ مُرْهَفَـةً كَأَنَهَـــا فِـي ظَـــلَامِ النَقْـــعِ نِيـــرَانُ

وَرَاتِعِـــينَ وَرَاءَ البَحْرِ فِـي دَعَـــةٍ لَهُـــمْ بِأَوْطَانِهِـــمْ عـــزٌ وَسُلْطَـــان

أَعِنْدَكُـــمْ نَبَـأٌ مِنْ أَهْـــلِ أَنْدَلـــسِ فَقَـــدْ سَرَى بِحَدِيـثِ القَـومُ رُكْبَـــان

---

[1]- طرفة بن العبد: الديوان، شرح:الأعلم الشنتمري، تح: درية الخطيب ولطفي الصقال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، لبنان، ط2، 2000، ص:52.

[2]- أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج 4، ص: 488 .

كَمْ يَسْتَغِيثُ بِنَا المُسْتَضْعَفُونَ وَهُمْ قَتْلَـــى وَأَسْرَى فمـــا يَهْتَـــزُّ إِنْسَـانُ

ماذَا التَقَاطُعُ فِـــي الإِسْلاَمِ بَيْنَـــكُمْ وَأَنْتُـــمْ يَـا عِبـــــادَ اللهِ إِخْـــــوَانُ

أَلَا نُفُـــوسُ أبيَّـــاتٌ لهـــا هِـــمَمٌ أَمَا عَلَـ ـى الخَيْـرِ أَنْصَـارٌ وَأَعْـــوَانُ

فالشاعر في هذه الأبيات يستنكر على المسلمين و العرب _ على حد سواء _ موقفهم هذا و الذي يتضمـن الشعـور بالأمـن و الاستقرار في بلدانهم على الرغم مما يجري في بلاد الأندلس ، فينكر عليهم ما يبرعون فيه و هي فروسيته فكأنما يصفهم بالفشل و فقدانهم لمغزى الحياة ، فكأنما يعيشون حيـاة بـلا هـدف .

4 . الاغتـــراب الدينـــي:

شخصية "**أبي البقاء الرندي** " ثابتة مُتزنة. أظهرها توظيفه للحكمة، متدينة لإيمانها الظاهر في صبره أمام غدر الزمان رغم ثورته إزاء تصرف حكام المسلمين في الأندلس، وتخاذلهم عن نصرة دين الله في أرضهم، فهو أيضا شخصية واعظة لغيره من المسلمين خارج الأندلس لشحذ هممهم ودعوتهم لرفع يد الظلم عن إخوانهم في الدين، فيقـــول:[1]

تَبْكِي الحَنِيفِيَّةُ البَيْضَاءُ مِـــنْ أَسَفٍ كَمَـــا بَكَـــى لِفِـــرَاقِ الإِلْـفِ هَيْمَـانُ

عَلَى دِيَـــارٍ مِـنَ الإِسْـــلَامِ خَالِيَـــةً قَـــدْ أَقْفَـرَتْ وَلَهَـــا بِالكُفْـــرِ عُمْـــرَانُ

حَيْثُ المَسَاجِدُ صَارَتْ كَنَائِسَ مَـا فِيهِـــنَّ إِلَا نَوَاقِيـــــــسُ وَصُلْبَـــــانُ

حَتَى المَحَارِيبُ تَبْكِي وَهِيَ جَامِدةٌ حَتَـــى المَنَابِـــرُ تَرْثِـــي وَهِـــيَ عِيـدَانُ

يصور "**الرّندي**" في هذه الأبيات حال الإسلام بعد سقوط المعاقل الإسلامية حيث أصبح حزينا؛ فهاهي الحنفية تبكي من شدة حزنها كما يبكي المحبُّ لفراقِ إلفه وحبيبه؛ فهي تبكي على هذه المعاقل التي خلت من الإسلام وأقفرت، فصارت الأندلس نصرانية عامرة بأهل الكفر خالية من الإسلام؛ حيث جُعلت النوا قيس في مساجدها لإعلان دخول وقت الصلاة بعدما كان الآذان، وعلّقت الصلبان فيها والصور بعد تلاوة القــرآن و ذكر الله فيـها.

فيا لهـــا من مصيبة و ما أعظمها، وطامة ما أكبرها، فحتى ال جمادات تأثرت لما حدث فأخذت المحـاريب والمآذن تبكـي وترثـى نفسهـا بعـد أن أصبحـت خاويـــة.

فلا ينفع العزاء بعد سقوط الأندلس بتقاعس أهلها وتربص الكفار بهم، فقد غدت خالية من الإسلام سلاحهـا الوحيـد.

[1]-أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج4، ص:487.

إن التحول الذي أصاب الجزير ة على المستوى الديني وخذلان المسلمين أمام مدِّ تيار الكفر، وحالها قبل الفتك بها وبعده، وكيف تهاوت إمارات الإسلام الواحدة تلوى الأخرى بسبب مخالفة تعاليم الحنيفية البيضاء فكانت تلك الأحداث لا يمكن نسيانها حيث يقول فيها الرندي:[1]

وَلِلْحَــوَادِثِ سُلْــــوَانُ يُسَهِّلُــهَا وَمَــــا لَمـــــَا حَـــلَّ بِالإِسْلَامِ سُلْـــوَانُ

دَهَــى الجَزِيـــرَةَ أَمـــرٌ لَا عَزَاءَ لَهُ هَـــوَى لَـــهُ أُحُـــدٌ وَ انْهَـــدَّ ثَهْـلَانُ

أَصَابَهَا العَيْنُ فِي الإسلام فَامْتَحَنَتْ حَتَى خَلَتْ مِنْـــهُ أَقْطَـــارُ وَبُلْـــدَانُ

يُريد الشاعر من قوله (الحوادث) أي (المصائب)؛ فالإنسان بحاجة إلى من ينسيه مصيبته ويخفف عنه وطأتها؛ بمعنى أن كل المصائب قد نجد من يُسلينا عنها إلا مصيبتنا في ديننا فلاشيء يسلينا عنها، أي أن مصائب الدهر وحوادثه عزاء لما أصابه، ولكن ما حل بالإسلام ليس له عزاء لشدة وعظمة المصيبة فلا يستطيع أي إنسان نسيانها، كما يقول بأن العين قد أصابتها في الإسلام فأصبحت أقطارهـا وبلدانهـا خاليـة منـــه.

تضمنت قصيدة "**الرندي**" قيمـاً دينية؛ تبرز في غيرته على الإسلام ومحاولته جاهداً لإيقاظ النِّيام واستنهاض الهمم بما يُثير الحَميَّـة من مسائل الشرف والعرض وما يفطر القلب ألـمً من تفريـق الأرواح والأبـدان، فيقول: [2]

لِمِثْلِ هَذَا يَذُوبُ القلبُ مِـــنْ كَمَـــدٍ إِنْ كَانَ فِي القَلْبِ إِسْلَامُ وإيمَـــانُ

أراد الشاعر أن يؤكد في خاتمة قصيدته أنه من أنجد وأغاث و جاهد في سبيل الله والإسلام وتخليص أبناء المسلمين ونسائهم من العبودية فهو مسلم، خلافا لمن تخاذل عن ذلك فلا خيار إذن، إما إسلام وإيمان وإما عصيان وكفر.

---

[1]- أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج4،ص: 487.

[2]- المرجع نفسه ، ص:488.

إن الأديب مغترب عن زمانه ومكانه ومجتمعه يسعى من خلال ذلك إلى صياغة تجربته النفسية وتشكيلها كتجربة إبداعية خلاقة أو مؤثرة، ولو لا ذلك الاغتراب وذلك التفرد لعاد الأدب كلاماً من كلام وبالتالي أراد "**الرندي**" من خلال هذه القصيدة أن تكون رسالة إلى أبناء عصره ولكل المسلمين في أي زمــان ومكـــان.

المبحث الثالث: آليات قهـــر الاغتـراب فـي القصيـدة:

لقد أصبح واضحا ـ بعد كل ما سبق ـ من أن الشاعر "**أبا البقاء الرندي**" قاسى ويلات الاغتراب فأجبرته معاناته الشديدة على محاولة إيجاد وسائل تنسيه همومه و أحزانه وتخفف عليـه شعـــوره بالاغتـــراب .

فحاول "**أبو البقاء الرندي** " أن يقهر اغترابه وأن يعوض في مشاعر الفقد والحرمان الذي طاله بعد سقوط مدن الأندلس تبعاً في هذه النونية ؛ فتباينت بين اعترافات ومحاولات لتذكر الماضي ، سخـرية ، وعـــظ ، انسحاب ،الحـزن و عدم استقـرار و تمـرد .

1 . الاعتـــراف:

يقر "**أبو البقاء** " في مطلع نونيته بحقيقة مفادها أن « **العظيم وإنْ تعاظمَ سَيَأْتِي عليه يوم تزول فيه عظمته**» [1] ، وهو ما يوافق المثل العربي القائل :«**تَوَقَّع زَوالاً إذاَ قِيْلَ تَمْ**»[2]، وهذا من أجل بدء عملية التخفيف من وطأة الاغتراب ووقعه على نفسه والمحافظة على رباطة جأشه جراء ما نزل عليه من نوائب متتاليـة.

إذ يقـول فـي هـذا الشـأن:[3]

لِكُـلِ شَيْءٍ إِذَا مَا تَـمَ نُقْصَـــانُ فَـلَا يَغِرُّ بِطِيـب العَيْـشِ إِنْسَانُ

هِيَ الأُمُورُ كَمَا شَاهَدَتْهَا دُوَلٌ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْـهُ أَزْمَـــــانُ

وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تَبْقِي عَلَى أَحَـــدٍ وَلَا يَدُومُ عَلَى حَـــالٍ لَهَا شَـــانُ

إلـى أن يقـــول:

وَيَنْتَضِي كُلُّ سَيْفٍ للفَنَـــاءِ وَلَـوْ كَانَ ابْنَ ذِي يَزَنٍ وَالغِمْدُ غِمْدَانُ

---

[1]– محمد رضوان الدّيّة: في الأدب الأندلسي، ص:174.

[2]– المرجع نفسه، ص: 174.

[3]- أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب ، مج4، ص:487.

إذا فللقاعدة التي بنى عليها الشاعر اعترافه هي حكمة أن ما من شيء يبلغ درجة التمام إلا ويأخذ في التراجع والنقصان فهي سُنة الله في خلقه لذا فعلى الإنسان أن لا يغتر بطيب عيشه فإن مصيره الفناء والزوال قال تعالى : ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾ **(سورة الرحمان, الآية:26).**

فكانت هذه الحقيقة المُرَّ ة التي أبكت " **عمر بن الخطاب** " - رضي الله عنه - يوم حجة الوداع.

فلاغتراب عند "**أبي البقاء الرندي** " هو الإقرار بقاعدة إنسانية عظيمة مفادها أن كمال الأشياء بداية نهايتها فالإنسان ما يكاد يبلغ ريعان شبابه حتى تدركه الشيخوخة وترده إلى وهن حتى تسلمه إلى الفناء فلا يغر إنسان جبروته مهما عظم ولا أمة قوتها مهما بلغت فمردُّ ذلك كله إلى الفناء.

وبالتالي جعل " **أبو البقاء الرندي**" الحكمة في صدر القصيدة لأن مأساة سقوط الأندلس عظيمة ووقعها سيكون شديداً على المتلقين[1]، فلا بد إذن من الاحتكام إلى العقل أولاً قبل الخوض في وصف تلك الفاجعة.

فكان اختيار **الرندي** للحكمة من أجل الاعتراف بمسألة التمام والنقصان التي تحضر في ذهن الشاعر من خلال تجارب الدول بعامة وتجربة الأندلس بخاصة، فذلك كله يحيلنا إلى مشاهدته وخبراته التي اكتسبها بالخبرة العيانية المباشرة أو بمطالعة الكتب، ولا سيما أنه فقيه وأديب وشاعر وصاحب ثقافة عالية.

2 - استعـــادة الماضـــي:

للماضي نكهة خاصة عند الإنسان «**ولا سيما ذلك الذي أثقلت أحزان الحاضر كاهله، وأخذ الاغتراب بخناقه فالماضي على و فق هذا الشعور مرفأ يرتاده الشاعر فراراً**

[1]- صلاح جرار: قراءات في الشعر الأندلسي، دار المسيرة، عمان، الأردن ، ط2 ، 2009، ص:118.

من الألم والتماسا للراحة» [1]؛ فتذكر الشاعر لماضيه ما هو إلا سعي لإعادة الانسجام مع ذاته لخلق توازن واتصال بين الأمس واليوم من خلال تذكره لسحر الأندلس وجمالها الصافي ففي ذلك يقول:[2]

دَهَى الجَزِيرَةَ أَمْرٌ لَا عَزَاءَ لَهُ هَوَى لَهُ أُحُدٌ وَ انْهَدَّ ثَهْلَانُ

أَصَابَهَا العَيْنُ فِي الإسلام فَامْتَحَنَتْ حَتَى خَلَتْ مِنْهُ أَقْطَارُ وَبُلْدَانُ

فَاسْأَلْ بَلَنْسِيَةَ مَا شَأْنُ مُرْسِيَةَ وَأَيْنَ شَاطِبَةُ أَمْ أَيْنَ جَيَانُ

وَأَيْنَ قُرْطُبَةُ دَارُ العُلُومِ، فَكَمْ مِنْ عَالِمٍ قَدْ سَمَا فِيهَا لَهُ شَانُ

وَأَيْنَ حِمْصُ وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نُزَهٍ وَنَهْرُهَا العَذْبُ فَيَّاضٌ وَمَلْأَنُ

فالشاعر في هذه الأبيات يتذكر محاسن المدن التي فقدت في حروب الاسترداد جراء تخاذل عربي إسلامي فراح يذكر ما تشتهر به " قرطبة" من علوم وكثرة علمائها، كما ذكر أيضا ما اشتهرت به" اشبيليا" من كثرة المنتزهات التي تحيط بضفتي نهر "الوادي الكبير".

كما يقول "**الرندي**" في موضع آخر من القصيدة:[3]

تَبْكِي الحَنِيفِيَّةُ البَيْضَاءُ مِنْ أَسَفٍ كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الإِلْفِ هَيْمَانُ

عَلَى دِيَارٍ مِنَ الإِسْلَامِ خَالِيَةَ قَدْ أَقْفَرَتْ وَلَهَا بِالكُفْرِ عُمْرَانُ

حَيْثُ المَسَاجِدُ صَارَتْ كَنَائِسَ مَا فِيهِنَّ إِلَا نَوَاقِيسُ وَصُلْبَانُ

حَتَى المَحَارِيبُ تَبْكِي وَهِيَ جَامِدَةٌ حَتَى المَنَابِرُ تَرْثِي وَهِيَ عِيدَانُ

بعد ذكر الشاعر لمحاسن المدن التي فقدت في الأندلس من أيدي المسلمين نجده يُجري مقارنة بين أحوال هذه المدن قبل وبعد فقدانها ، فيركز على خروج الإسلام منها و حلول

---

[1]– محمد راضي جعفر : الاغتراب في الشعر العراقي المعاصر(مرحلة الرواد)، اتحاد الكتاب العربي ، دمشق ، سوريا د ط ، 1999 ، ص : 54 .

[2]- أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب ، مج4، ص: 487.

[3]– المرجع نفسه ، ص: : 488 .

الكفر محلها ، وتحويل المساجد إلى كنائس و اختفاء صوت الأذان و حلول أصوات النواقيس و الأجراس محلها .

فلقد كان لإيراد الشاعر لهذه الأحداث التاريخية الغابرة هدف هو التعزي بصوت السابقين و فنائهم و التخفيف من وقع المصبية ، فنجده يمضي في إيراد الأدلة على ذلك قائلا [1] :

أَيْنَ المُلُوكُ ذُو التِّيجَانِ مِنْ يَمَنٍ وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلُ وَتِيجَانُ

وَأَيْنَ مَا شَادَهُ شَدَّادُ فِي إِرَم وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الفُرْسِ سَاسَانُ

وَأَيْنَ مَا حَازَهُ قَارُونُ مِنْ ذَهَبٍ وَأَيْنَ عَادٌ وَشَدَّادُ وَقَحْطَانُ

أَتَى عَلَى الكُلِّ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ حَتَى قَضَوا فَكَأَنَّ القَوْمَ مَا كَانُوا

وصَارَ مَا كانَ مِنْ مَلِكٍ و مُلْكٍ كَمَا حَكَى عَنْ خَيَالِ الطَّيْفِ وَسِنَانُ

دَارَ الزَّمَانِ عَلَى دَارَا وَقَاتِلُهُ وأَمَّ كِسْرَى فما آواه إيوانُ.

كأنما الصَّعْبُ لَمْ يَسْهَل لَهُ سَبَبٌ يَوْمًا وَلا مَلَكَ الدُّنْيَا سَلَيْمانُ

فالمتأمل لهذه الأحداث التاريخية و أسماء الدول و الملوك التي ضربها الشاعر مثلاً : كـ الملوك في "اليمن" و "إرم" ذات العماد و إمبراطورية "الفرس" ، و "قارون" وكنوزه و مملكة النبي "سليمان" –عليه السلام– ، أنها من أعظم الدول في التاريخ .

3 . السخرية والوعظ:

كما لم يخلو شعر "**الرندي**" من السخرية والإرشاد لمن كان يدعي الأ رفة وهي وسيلة ابتغاها الشاعر بهدف استنهاض الهمم وإثارة الحميَّة.

ففي القصيدة يدعو المسلمين إلى أخذ العبرة والعظة من سقوط مماليك قوية في الأندلس وأن عليهم أن لا يغتروا بما هم فيه من أمن واستقرار في أوطانهم فنجده يقول:[2]

يَا غَافِلاً وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةٍ فَالدَهْرُ يَقْضَانُ

---

[1]-أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب ، مج4، ص:487 .

[2]– المرجع نفسه ، ص:488.

وَمَاشِيًـــا مَرِحًـــا يُلْهِيـــهِ مَوْطِنُـــهُ أَبَعْـــدَ حِمْـصٍ تَغَـــرُّ المَـــرْءَ أَوْطَـانُ

تِلْكَ المُصِيبةُ أَنْسَـــتْ مَا تَقَدَّمَهـــا وَمَـا لَهَا مَـــعَ طُولِ الدَّهْـــر نِسْيَـــانُ

وحتى لا تبدو موعظة "**الرندي**" شبيهة بمواعظ الشعراء الآخرين، وحتى تكون مناسبة لما حل بالأندلس «**فقد اتخذ السخرية سبيلا لتعزيز أثر هذه الموعظة** »[1]، حيث يقول فـي هـذا الخصـوص:[2]

يَـا رَاكِبِيـنَ عِتـــاقَ الخَيْـلِ ضامرة كَأَنَهَـا فِي مَجَـالِ السَبْـــقِ عُقْبَـانُ

وَحَامِلِيـنَ سُيُـــوفَ الهِنْـــدِ مُرْهَفَةً كَأَنَهَـــا فِـي ظَـــلَامِ النَقْـعِ نِيـــرَانُ

وَرَاتِعِـــينَ وَرَاءَ البَحْرِ فِي دِعَـــةٍ لَهُـــمْ بِأَوْطَانِهِـــمْ عِـزٌّ وَسُلْطَـان

إن السخرية تتجلى بشكل واضح وجلي في وصفه لقوة المسلمين وراء البحر وبين تخاذلهم عن نصرة الأندلس وتجاهلهم لما حلّ بها من مصيبة، فبعد أن وصف الخيل القوية بالعقبان وسيوفهم بالحدة واللمعان والشدة، فهو يستفتيهم إن كانوا قد أدركوا ما حلّ بالأندلس من أمر جلل وذلك كلـه في قالب ساخـر فيقـول:[3]

أَعِنْدَكُـــمْ نَبَأٌ مِنْ أَهْـلِ أَنْدَلـــسِ فَقَـدْ سَرَى بِحَديـــثِ القومِ رُكْبَـانُ

كَمْ يَسْتَغِيثُ بِنَا المُسْتَضْعَفُونَ وَهُمْ قَتْلَـــى وَأَسْرَى فمـــا يَهْتَزُّ إِنْسَـانُ

ماذَا التَقَاطُعُ فِـــي الإِسْلاَمِ بَيْنَـــكُمْ وَأَنْتُـــمْ يَا عِبـــــادَ اللهِ إِخْـوَانُ

أَلَا نُفُـــوسٌ أبيَّـاتٌ لهـــا هِـمَمٌ أَمَا عَلَـــى الخَيْـرِ أَنْصَارٌ وَأَعْـوَانُ

فعندما يتذكر الشاعر تقصير المسلمين في نصرة إخوانهم بلأندلس يزداد انفعاله حتى يبلغ درجة يمتزج فيها الغضب مع السخرية من غير أن يتخلى عن تقنية السؤال والجواب، ولكنها كانت أسئلة استنكارية تنسجم مـع السخرية والوعـظ.

---

[1]- صلاح جرار: قراءات في الشعر الأندلسي، ص:122.

[2]- أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب ، مج4، ص:488.

[3]- المرجع نفسه، ص:488.

لقد حرص "**الرندي**" على استخدام وسائل مختلفة لقهر اغترابه وذلك لأن شعوره بثقل المأساة جعله لا يطيق حملها وحده فأراد أن يشرك معه جمهور عصره والعصور اللاحقة فلجأ إلى مخاطبة العقول ومخاطبة الوجدان؛ فألما مخاطبته لل عق فتتجلى في استفتاح قصيدته بالحكمة ثم تقديم الأدلة والبراهين والشواهد، وفي إكثاره أيضا من طرح الأسئلة و محاولته تشخيص سبب المأساة ، وفي الدعوى إلى أخذ العبرة والعظة، وأما مخاطب ته للعاطفة فتبرز في محاولته إثارة حزن المسلمين على ما أصاب الأندلس وأهلها من قتل وأسرٍ سَبْي ، وما أصاب الإسلام فيها من تحويل المساجد إلى كنائس والآذان إلى قرع للأجـراس والنـواقيس.

4 ـ الانسحاب:

ويسمى أيضا باللا مواجه ة، وهو ما يقابله عند " **سيمان ملفن** " بالعزلة الاجتماعية فيقول "**حليم بركات** " في هذا الصدد:« **قد لا يتمكن الإنسان من الاستمرار في معايشة اغترابه في علاقاته بالمجتمع والدولة والمؤسسات التي ينتم ي إليها أو يعمل من ضمنها ويدرك أنّه لا يقوى على تغيير الواقع أو الرضوخ له ولو ظاهراً فيحاول الانسحاب منه أو الهروب باحثا عن فرصة أخرى للخلاص من الوضع الذي يع انيه**»[1]، إنّ المعنى الذي نستشفه من خلال هذا القول أنّ الإنسان والفرد الذي لا يلعب دورً ا في صنع القرارات المصيرية داخل مجتمعه والانصياع لمؤسساته غالبا ما يتوفر لديه عنصر الانسحاب، والذي ينقسـم بـدوره إلـى:

- الهجـرة الخـارجيـة.
- الانعزال والتشر ذق في نشاط إبداعي خاص ، انعزال في العلاقات العائلية، فقدان الإيمـان بالديـن.

[1]- حليم بركات : الاغتراب في الثقافة العربية، ص:81.

- اللجـــوء إلى التـوهم والأحـلام، والتعلــق بالعــودة إلى الماضـي[1].

والشاعر "**أبو البقاء الرندي**" ممن اختار الانسحاب عن طرق اللجوء إلى التوهم والأحلام والتعلق بالعودة إلى الماضي، وهو ما يتمثـل لنا جليـا في قول الشاعر:[2]

فَاسْأَلْ بَلَنْسِيَةُ مَا شَـــأْنُ مُرْسِيَـــةَ وَأَيـــْنَ شَـــاطِبَـةُ أَمْ أَيْـــنَ جَيَّـــانُ

وَأَيْـــنَ قُرْطُبَـــةُ دَارُ العُلُومِ، فَكَـــمْ مِـــنْ عَالِـــمٍ قَـدْ سَمَـــا فِيهَا لَهُ شَـــانُ

وَأَيْنَ حِمْصُ وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نُـــزَهٍ وَنَهْرُهَـــا العَـــذْبُ فَيَّـــاضٌ وَمَـــلأْنُ

قَوَاعِـــد كُـــنَّ أَرْكَـــانِ البِلَادِ فَمَـــا عَسَـــى البَقَـــاءَ إِذَا لَـــمْ تَبْقَـــى أَرْكَـانُ.

فالشاعر هنا وفي هذه الأبيات بالتحديد يعود بمخيلته إلى ذلك الزمن الجميل سارداً لنا ما كان لكلّ حاضرة أندلسية من صفات لطالما ميزتها من باقي حواضر ومدن العالم آنذاك؛ فهذه قرطبة ذاع صيتها بكونها عاصمة العلم والعلماء، ومنبراً للعلوم والثقافة والمدنية، حتى قيل أنها غدت تنافس "القسطنطينية" و"بغداد" و"القيروان"، كيف لا وقد نبغ فيها عدد من العلماء والشعراء–الذين نعرفهم والذين لا نعرفهم– وتخرجوا من جامعتها أمثال: "**ابن حزم الأندلسي**" وقاضي القضاة "**يونس بن عبد الله بن مغيث**" وكذا مؤرخ الأندلس الأوحد"**أبو مروان بن حيان** "...وغيرهم، ليسترسل بعد ذلك بالكلام عن "حمص" "اشبيلية" التي عُرِفت بنهرها الكبير واخضرار حدائقها وروضاتها الممتدة على طوال النظر كما لم ينسى الشاعر مُدن الأندلس الأخرى كـ: "بلنسية "، "مرسية"، "شاطبة"، و"جيان".

---

[1]– حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية، ص:81–82.

[2]– أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج4، ص:487.

5 ـ الحــزن وعـدم الاستقــرار:

إنّ المتأمل في ثنايا القصيدة يجد وَ يَسْتَشْعِرُ مَسحة الحزن والاضطراب، خاصة عند ما يصف لنا الشاعر حال الأندلس بعد سقوط مُدنها وحال أفرادها، فيقـول:[1]

يَـــا مَـــنْ لِذِلَّةِ قَوْمٍ بَعْـدَ عِــزِّهِمْ أَحــالَ حَالـُهُمْ كُفْـــرٌ وَطُغْيـانُ

بِالأَمْسِ كَانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِــهِمْ وَاليَوْمَ هُمْ فِي بِلَادِ الكُفْرِ عُبْــدانُ

فَلَــوْ تَرَاهُمْ حَيَــارَى لَا دَلِيلَ لَـهُمْ عَلَيْـهِمْ مِــنْ ثِيَابِ الـذُّلِ أَلْــوان

وَلَــوْ رَأَيْــتَ بُكَاهُمْ عِنْــدَ بَيْعِهِـمْ لِهَالَكَ الأَمْرِ وَاسْتَهْوَتْـكَ أَحْــزَانُ

يَارُبَ أمٍّ وَطِفْــلٍ حِيــلَ بَيْنَــهُمَا كَمَــــا تفــرَّقُ أَرْوَاحُ وَأَبْــدانُ

وَطِفْلَةٍ مِثْلَ حُسْنِ الشَّمْسِ إِذْ طَلَعَتْ كَأَنَّمَــا هِــيَ يَاقُــوتُ وَمُرْجَـانُ

يَقُودُهَــا العِلْــــجُ لِلْمَكْرُوهِ مُكْرَهَـةً وَالعَيْــنُ بَاكِيَــةٌ وَالقَلْــبُ حَيْرَانُ

لِمِثْلِ هَذَا يُذَوبُ القلبُ مِــنْ كَمَــدٍ إِنْ كَانَ فِـي القَلْبِ إِسْلَامُ وإِيمَــانُ

يعمد الشاعر إلى عرض متسلسل للصور المأساوية بعـد أن تم سقوط الأندلس نهائيـا في أيدي الكفار تعتليها مسحة الحزن والأسف على قومٍ صاروا أذلاء بعد أن كانوا أعـزاء في بلادهم ، و أصبحوا عبيدا في أوطانهم بعد أن كانوا ملوكا و سلاطين، كما يصور لنا الشاعر مقتطفاً من هذا الذّل، وهي صورة لأم وابن فرقوا بينهما، وصورة لطفلة يقودها العلـــــج مغلولةً، ليختم الشاعر قصيدته بلحن حزين مؤلم، وأساً وندم إلى درجة ذوبـــان القلـب مـن كـلِّ هـــذا.

6 ـ التمـــــــــرد:

يسميه "**حليم بركات** " بالعمل الثوري، فيقول: «... **ومن النتائج السلوكية المحتملة للتحرر من عبء الاغتراب والاشتراك في نشاطات تهدف إلى تغيير المجتمع بالإصلاح أو التمرد الفردي أو الثورة من خلال الاشتراك الحر في حركات اجتماعية وأحزاب تقدمية**

[1]- أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج4، ص:488.

ثورية تعمل من أجل استبدال النظام السائد بنظـام آخـر إلى نظرية إصلاحيـة أو ثوريـة» [1] ، ويضيف الناقد قائلا: « **وفي رأيي أنّ اختيار العمل الثوري هو أفضل الحلول البديلة لمشكلة الاغتراب، وليس كشأن فردي فحسب، بل كشأن مجتمعي أيضاً لهذا يقتضي أن يتصف العمل الثوري بالشجاعة والتحرر والمسؤولية والإبداع كي يشكل تجاوزاً حقيقيا لمشكلة الاغتراب، وبخاصة بمعنى التحرر من العجز والتفكك الاجتماعي والثقافي»**[2] ، ومن هنا لا يكون التمرد ذا فاعلية إلاّ إذا كان ضمن تشكيلة وعُصبةٍ، ليكون له ذلك الوقـع ، فـمن خلال استقرائنا لأبيات القصيدة، نجد الشاعر يتوجه بخطابه إلى فئتين اثنين همـا: فئة العرب والمسلمين وبربـر المغرب على حدٍّ سواء، فيقول فـي هـذا الخصـوص:[3]

يَـا رَاكِبِيـنَ عِتـاقَ الخَيْـلِ ضامرة كَأَنَهَـا فِي مَجَـالِ السَبْـقِ عُقْبَـانُ
وَحَامِلِيـنَ سُيُـوفَ الهِنْـدِ مُرْهَفَةٌ كَأَنَهَـا فِـي ظَـلَامِ النَقْـعِ نِيـرَانُ
وَرَاتِعِـينَ وَرَاءَ البَحْرِ فِي دِعَـةٍ لَهُـمْ بِأَوْطَانِهِـمْ عـزٌّ وَسُلْطَان
أَعِنْدَكُـمْ نَبَأٌ مِنْ أَهْـلِ أَنْدَلُـسِ فَقَـدْ سَرَى بِحَديـثِ القومُ رُكْبَانُ
كَمْ يَسْتَغِيثُ بِنَا المُسْتَضْعَفُونَ وَهُمْ قَتْلَـى وَأَسْرَى فمـا يَهْتَزُ إِنْسَـانُ
ماذَا التَقَاطُعُ فِـي الإِسْلاَمِ بَيْنَـكُمْ وَأَنْتُـمْ يَا عِبـادَ اللهِ إِخْـوَانُ
أَلَا نُفُـوسٌ أبيَّـاتٌ لهـا هِـمَمٌ أَمَا عَلَى الخَيْـرِ أَنْصَـارٌ وَأَعْـوَانُ

فالشاعر في هذا المقطع بالتحديد يتوجه بخطابه إلى العرب والمسلمين و بربر المغرب في محاولة منه لاستنهاض أو شحذ الهمم، فكأنما يدعوهم إلى التمرد والثورة على النصارى اللذين استعبدوا إخوانهم في ديارهم، وهو حق مشروع لكل واحدٍ اغتصبت أرضه وأبيحـت أعراضـه.

---

[1]- حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية ، ص:83.

[2]- المرجع نفسه، ص: 84.

[3]- أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج4، ص:488 .

وخلاصة القول أن "**أبا البقاء الرندي**" عانى من الاغتراب بعوامله و أنماطه المختلفة فشملت الاغتراب السياسي و الاجتماعي و حتى المكاني و الزماني و كذا الديني ؛ وهي كلها أشكال وجدت صدى واسعا و كبيرا لدى شاعرنا , وقد اتجه إلى قهر اغترابه بطرق عدة منها : الاعتراف ، استعادة الماضي ، الوعظ و السخرية ، الانسحاب . الحزن و عدم الاستقرار و التمرد .

فكان الاغتـراب هـو الموضـوع الرئيسـي فـي نونيـته ، فهــو بمنزلـة المحـرك لشاعـريتــه .

الفصـــل الثالـــث :

الأثـــر الفنـي للاغتـراب

فـي القصـيدة

المبحث الأول: المستـــــوى الصـــوتـــي :

1 . المـوسيقى الخارجيــة .

2 . المـوسيقـى الداخليـــة .

المبحث الثاني: المستـــوى التركيبـــــــي :

1 . الأساليب الخبرية في النونية .

2 . الأســاليــب الإنشائيـــــة .

3 . التقديـم و التأخير في النونيــة .

4 . تـــوظيـــف الأزمنـــــة .

المبحث الثالث: المستـــوى الــدلالــي و المعجمي:

1 . المعجـــم اللغـــوي.

2 . الثنائيـــات الضـــديـــة.

3 . الصـــور الفنيـــة.

المبحث الأول: المستـــوى الصوتـــــي:

إن أقدم النصوص اللغوية في الثقافة العربية نصوص شعرية ترجع إلى ما قبل الإسلام بما يقربُ مـــن قرنين مـن الزمـــن.

ولعلّ القيمة الفنية للشعر هي التي ساعدت على حفظه على مدى الزمن، فتناقله جيل بعد جيل« **فَأَشْبَعُوا بِه أشواقهم الروحية، وظمأ نفوسهم إلى الجمال وتعميق الرؤيا للحياة وتعديلها**» [1]ومما ساعد أيضا على حفظ ذلك الشعر النغم الموسيقي الذي يتمتع به وما يشتمل عليه من أوزان وقوافٍ، ولا سيما أيضا أنه كما كان علم قوم لم يكن لهم علم سواه.

مع العلم أن الشعر العربي يتميز بثنائية تشكيله الموسيقي، ف يقوم على الموسيقى الخارجية التي يحكمها العروض ؛ وتتمثل في الوزن والقافية إذ يعتبر ان العماد الذي يقوم عليهما الإطار الموسيقي الخارجي ، أما الموسيقى الداخلية فيحكمها علم البديع والمحسنات البديعية الموجودة في القصيدة فت ظافر الموسيقى الخارجية والداخلية في تشكيل البناء الموسيقي فهو الذي يعمل على خلق حس شعوري ينسجم مع معنى النص، ولكن قبل التطرق إلى الموسيقى الداخلية والخارجية للنص الشعري يجب التعرف على الصوت.

مفهـــوم الصـــوت:

لغـــــــة:

هو الجرس، وقد صَاتَ يصُوتُ ويَصَاتُ صَوْتًا، وأَصَاتَ، وصَوَّتَ به: كُلُّهُ نَادَى.

كما يُقال: صَاتَ يصُوتُ صَوْتًا، فهو صَائتْ، معناه صَائِحٌ[2].

اصطـــلاحـــا:

الصوت الإنساني هو جوهر الكلام و مادته، يعرفه "**الجاحظ**" فيقول: « **هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا**

---

[1]–محمد حماسة عبد اللطيف: البناء العروضي للقصيدة العربية، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 1999، ص:11.

[2]– ابن منظور: لسان العرب، مادة صوت، ص : 4980.

كلامًا موزونًا ولا منثورًا إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلامًا إلا بالتقطيع والتأليف»[1].

فالصوت وسيلة ضرورية لمعرفة طريقة عمل اللغة فهو بمثابة آلة اللفظ المحركة له.

فهو إذن يشكل المظهر المادي للغة التي تقوم عليها الدراسات اللسانية.

1 . الموسيقـــى الخارجيـــة :

1 . 1 . الـــــوزن:

1 . 1 . 1 . لغـــــة:

تقول وزنت الشيء لزيد وزنه أَزِنُهُ وَزْنًا، بمعنى كِلْتُ لزيد، فاتَّزنه أي أخَذَه ووزن الشيء نفسه تَقُل فهو وَازن ومَا أَقَمتُ له وِزْنًا كناية عن الإهمال والاطِّرا ح وتقول العرب ليس لفلان وَزْنُ؛أي قدْر لخِسَّته[2].

وقال **ابن منظور**:الوِزْنُ، المِثْقَالُ، والجمع أَوْزَانٌ.

وأَوْزَانٌ العرب: ما بَنَتْ عليه أشعا رها، وَاحدُهَا وَزِنٌ، وَقَدْ وَزَنَ الشعر وَزْنًا فاتَّزَنَ. وهذا القول أوزَن من هذا أي أقوى وأمكن[3].

1 . 1 . 2 . اصطـلاحـــا:

المقصود به هو« **الإيقاع الحاصل من التفعيلات الناتجة عن كتابة البيت الش عري كتابة عروضية، وهو القياس الذي يعتمد الشعراء فـي تأليف أبياتهم ومقطـــوعاتهم وقصائدهم**»[4]. فالمقصود بهذا المصطلح أن تكون جميع أبيات القصيدة على وزن واحد

---

[1]– الجاحظ أبي عثمان عمرو بن بحر : البيان والتبين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر ج1، ط7، 1998، ص : 79.

[2]– أحمد بن محمد بن علي الفيومي: المصباح المنير، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، 1987م، ص: 252.

[3]– ابن منظور: لسان العرب، مادة وزن، ص: 4980.

[4]– إميل بديع يعقوب: المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 1991، ص : 458.

وهذه الوحدة ق ـد التزامهـ ا الشع ـراء فـدي قصائدهم التقليديـة ول م يحيـدوا عن ـها إلا فـدي بعـض أنـواع الشعــر كالموشحات ونحوها، كما أنه دون الوزن يفقد الشعر ركنًا مهما من أركانه.

وقد استخدم "**الرندي**" بحر البسيط وهو من البحور المركبة لاختلاف أجزائه، كما أنه من البحور الطويلة التي يعمـد إليها الشعراء في الموضوعات الجديـة.

يتألف بحر البسيط من تفعيلتين وهما: مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ، وتكرر في البيت أربعة م رات على هذا النحو[1]:

مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ

ومفتاحــه هــو:

إنَّ البَسِـيطَ لَدَيْــهِ يُبْسَطُ الأَمَـلُ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاعِلُنْ

اختار الرندي هذا البحر فخصصه لمواضيع مختلفة جدية تمتاز بالحزالة ودقة الموسيقى مثل الشكوى ،الوصف وهو خير دليل غلى عفويته.

ولتوضيح ذلك من خلال القصيدة نأخذ بعض الأبيات لتقطيعها يقول أبو البقاء[2]:

لِكُلِّ شَيءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَـــانُ فَلَا يُغَرَّ بِطَيْبِ العَيشِ إِنْسَانُ

لِكُلْ شَيْئِنْ إِذَا | مَا تَمْمَ نُقْصَانُو | فَلَاْ يُغَرْرُ | بِطَيْبِ لْعَيْشِ إِنْسَانُو

0/0/ /0// 0// 0/0/ 0// 0/0/ | /0//0/ 0// /0//0/ 0// /0/

متفعلن فاعلن مستفعلن فعلن | متفعلن فعلن مستفعلن فعلن

ويقـول أيضــا:

تَبْكِي الحَنِيفِيَّةُ البَيْضَاءُ مِنْ أَسَـفٍ كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الإِلْفِ هَيْمَانُ

تَبْكِ لْحَنِيْ فِيَّةُ لْ بَيْضَاءُ مِنْ أَسَفِنْ | كَمَاْ بَكَاْ لِفِرَاْ | قِ لْإِلْفِ هَيْمَانُوْ

/ 0/0//0/0 /0//0/ 0/ /0/0/ /0/ 0/// | 0//0/ 0/// /0/0 / /0/0/ /0/

مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن | مُتَفعلن فَعِلن مستفعلن فِعْلن

---

[1]–محمد حماسة عبد اللطيف : البناء العروضي للقصيدة العربية، ص :108.

[2]– أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج 4، ص: 487.

نلاحظ أن الشاعر قد استعمل البحر البسيط، غير أن عروضه في كثير من الأحيان لم تبق صحيحة ـ لدخول زحافات وعلل عليها ـ، بحيث تغيرت(مستفعلن) إلى (متفعلن) وضروبه كذلك من (فاعلن) إلى (فعلن).

فالبسيط حين يستعمل تاما أي غير مجزوء لا تبقى عروضه وضربه صحيحة بل تتغير.

1 .2 . الزحافـــات و العلـــل :

1 . 2 . 1 . الزحاف:

هي تغيير لازم يختص ب ثاني الأسباب، كتسكين التاء من (متَفاعلن) فتصير (مُتْفاعلن) وحذف الألف من (فاعلن) فتصير (فعِلن)، ويدخل الحشو والعروض والضرب[1] فهو تغيير يحدث في حشو البيت غالبا، ودخوله في بيت من القصيدة لا يستلزم دخوله فـي بقيـة أبياتهـا.

1 . 2 . 2 . العلـــة:

هي تغيير لازم تختص بالأسباب والأوتاد، كحذف السبب الأخير برمته من (فاعلاتن) فتصير (فاع لا) وتنقل إلى (فاعلن) المساوية لها بالحركات والسكنات وتسكين التاء من (مفعولاتٌ) فتصير(مفعولاتْ) وتنقل إلى(مفعولا ن) المساوية لها بالحركات والسكنات، وتختصُّ بالأعاريض والضروب دون الحشو من الأجزاء[2].

فهي تغيير يطرأ على تفعيلة العروض أو الضرب، وإذا ورد هذا التغيير في أول البيت من القصيدة التُزم فـي جميع أبياتهـا.

من خلال تقطيع أبيات القصيدة يتضح لنا أنه لا يخلو بيت من زحاف أو علة، حيث قال علماء العروض أن بحر البسيط لا يرد في الاستخدام «**إلا وقد أصيبت عـروضه وضربه**

---

[1]– عبد الرضا على: موسيقى الشعر العربي قديمه وحديثه، دار الشروق، عمان، الأردن، ط1، 1997، ص:19.

[2]– المرجع نفسه، ص:19.

بتغييرات طفيفة» [1] سواء كانت زحـافـا أو علـة .

يقول أبو البقـاء:[2]

فَاسْأَلْ بَلَنْسِيَةً مَا شَـــأْنُ مُرْسِـيَةٍ وَأَيْنَ شَاطِبَـــةٌ أَمْ أَيْنَ جَيَـّانُ

فَسْأَلْ بَلَنْـسِيَتَنْ مَاْ شَأْنُ مُرْ سِيَتَنْ وَأَيْنَ شَا طِبَتُنْ أَمْ أَيْنَ جَيْيَانْـو

0/// 0//0/0/ 0/// 0//0/0/ 0/// 0//0// 0/0/ 0//0/0/ مستفعلن فَعِلن مستفعلن فعلن متفعلن فعلن مستفعلن فاعل

ويقـول أيضا:[3]

هِيَ الأُمُو رُكَمَا شَاهَدْتُهَا دُوَلٌ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَـــانُ

هِيَ لأُمُوْ رُكَمَاْ شَاْهَدْتُهَاْ دُوَلُنْ مَنْ سَرْرَهُوْ زَمَنُنْ سَاءَتْهُ أَزْ مَانُو

0/// 0//0/0/ 0/// 0//0// 0/0/ 0//0/0/ 0/// 0//0/0/ متفعلن فعِلن مستفعلن فَعِلُن مستفعلن فَعِلُنْ مُسْتَفْعِلِن فاعل

نلاحظ أن الشاعر استعمل في هذه القصيدة زحافة الخبن، والمتمثلة في حذف الساكن الأول من التفعيلة (مسْتفعلن) تصبح (مُتَفعلُن) و(فاعلن) تصبح (فَعلُن) وهو ز حاف مستحسن[4].وكذلك أدخل على التفعيلة الأخيرة من عروضه علة القطع وهو حذف الساكن الأخير من التفعيلة، فتصبح (فاعلن) على وزن (فاعل) وهذا ما يوضحه الجدول التالي:

التفعيلة الأصليـة	***نـوع التغيـير***	***نـوع الـزحاف أو العـلـة***	***التفعيـلة المحصـل عليهـا***
مسْتَفعلن	حذف الساكن الأول	زحاف الخبن	متَفْعلن
فاعلن	حذف الساكن الأول	زحاف الخبن	فعلن
فاعلن	حذف الساكن الأخير	علة القطع	فاعل

[1]– عبد الرضا على: موسيقى الشعر العربي قديمه وحديثه ،ص: 118.

[2] - أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج 4، ص: 487.

[3] - المرجع نفسه، ص: 487.

[4]– إميل بديع يعقوب : المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، ص: 73.

مستفعلن كانت سببين خفيفين+ وتد مجموع أصبحت وتدين مجموعين بمعنى:

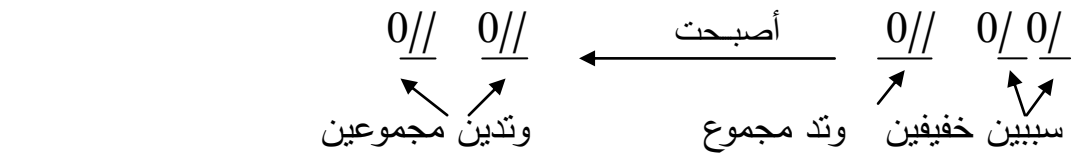

أما تفعيلة فاعلن: فكانت سبب خفيف + وتد مجموع وأصبحت سببين خفيفين.

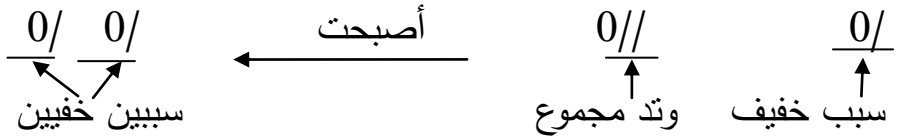

لقد اعتمد الشاعر هذه الزحافات والعلل في قصيدته ليجسد مأساة الأندلس؛ فاختار لذلك وزنا طويلا- بحر البسيط- ليصُبَّ فيها ما في نفسيته من ألم وحزن على الأندلـس.

1 . 3 . القافــية و الــروي :

1 .3. 1 . القافيـــة :

القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر، ولها دور كبير في تحديد بنية البيت من حيث التركيب والإيقـاع معًا.

***لغـــة:**

يعني بالقافية القَفا، ويقولون: القَفَن في موضع القَفا، وقال: هي قافية الرأس، وقافية كل شيء: آخره، ومنه قافية بيت الشعر، وقيل قافية الرأس مؤخره[1].

***اصطـلاحــا:**

يعرف علماء العروض القافية بأنها هي: « **المقاطع الصوتية التي تكون في أواخر أبيات القصيدة، أي المقاطع التي يلزم تكرار نوعها في كل بيت**»[2].

1-ابن منظور: لسان العرب، باب قفا، ص: 3708.

2- عبد العزيز عتيق: علم العروض والقافية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ط، 1987، ص : 134.

ويعرفها "**أمين علي السيد** " في كتابه "علم القافي ة" بقوله: « **يراد بالقافية تلك الأصوا ت التي تتكرر في آخر كل بيت، أو كل مجموعة من أبيات القصيدة، وتكرير هذه الأصوات ركن أساس في الموسيقى الظاهرة بالنسبة للشعر** »[1].فأول بيت في القصيدة يتحكم في بقية القصيدة من حيث الوزن العروضي ومن حيث نوع القافيـة.

و هي على وجه التحديد من آخر صوت ساكن في البيت إلى أول متحرك قبل أول ساكن قبلـه؛ أو آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه مع ما قبله، ومثال ذلك في قول" **الرنـــدي**"[2]:

لِكُلِ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَ نُقْصَـان فَـلَا يُغَـرُّ بِطِيب العَيْشِ إِنْسَانُ

لِكُلِ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمْ نُقْصَانُو فَلَا يُغَرُّ بِطَيْبِ لْعَيْشِ إِنْسَانُو

0/0/ 0//0/0/ 0// /0//0// 0/0/ 0// 0/0/ 0// 0/0/ /0//

فهي عند "**الرندي**" في قوله في هذا البيت: (سانُو)(/0/0).

كما نجد نوعين من القافية في نونية **الرندي:**

قافية مقيدة وهي ما كانت ساكنة الروي[3] .

قافية مطلقة: هي ما كانت متحركة الروي، أي بعد رويّها و صل بإشباع [4] كما في الكلمات التالية : أزمانُ، شانُ...إلخ..

1 .3. 2 . الـــــروي:

هو النغمة التي ينتهي بها البيت، ويلتزم الشاعر تكراره في أبيات القصيدة وموقعه آخـر القصـيدة، وإليـه تنسب القصيدة، فيقال قصـيدة لامية،أو ميميـة أو نونية، إذ كان

---

[1]– أمين علي السيد : في علم القافية، مكتبة الزهراء، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص : 24.

[2]– أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب، مج، ص: 487.

[3]– عبد العزيز عتيق : علم العروض والقافية، ص : 164.

[4]– المرجع نفسه، ص : 165.

حرفها الأخير لامًا أو ميمًا أو نونًا[1].

الروي هو حرف أساسي ترتكز عليه القصيدة؛ فهو أيضا أهم العناصر الصوتية في الشعر بحيث يلزمه الشاعر في بنائه للقافيـــة.

وقد تبنى "**أبو البقاء**" حرف النون ، فجعله حرف الروي الذي بَنا عليه قصيدته ، وهو الصوت الذي تنسب له هذه القصيدة –التي نحن بصدد دراستها – فعُرفت بنونية "**الرندي**" نسبة لحرف النون الذي ورد في كل بيت منها، حيث يشغل موضعا معينا لا يتزحزحُ عنه في أواخر الأبيات، يقول "**أبو البقاء**" في مواضع من نونيته[2]:

قَوَاعِد كُلَّ أَرْكَانِ البِلَادِ فَمَا عَسَى البَقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقَ أَرْكَانُ.

وقولـه أيضـا:

أَعِنْدَكُمْ نَبَأُ مِنْ أَهْلِ أَنْدَلُسِ فَقَدْ سَرَى بِحَدِيْثُ القومُ رُكْبَانُ.

لقد استعمل "**أبو البقاء** " في قصيدته هذه رويًا متحركًا مضمومًا فـي جميع أبياتهـا.

2 . الـــموسيقـــى الداخليـــــة .

إلى جانب الموسيقى الخارجية التي تعتمد على الإيقاع العروضي المتمثل في الوزن والقافية هناك ما يسمى بالموسيقى الداخلية التي تتجاوز الإط ار العام أو الخارجي الذي لا يمكن أن يُعول عليه ا في الحكم على موسيقى القصائد إلى الإطار الخاص أو الداخلي الذي يرتبـط بنفسيـة الشاعـر.

2 . 1 . المحسنـــات البديعيـــــة:

البلاغة أنواع وفنون، والبديع عالم واسع من الجمال، وألوانه من الكثرة بحيث لا يمكن حصرها.

---

[1]–محمد بن حسن بن عثمان: المرشد الوافي في العروض والقوافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004 ص: 157.

[2]– أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب، مج4، ص: 488–487.

فقد شاعت المحسنات البديعية شيوعا جعل منها ظاهرة أفرد لها الكثير من الباحثين قديمًا وحديثًا كتبًا خاصة، فلم يكن "**أبو البقاء الرندي** " بمعزل عن هذه الظاهرة فنجده مولعًا بالبديع فأكثر من الطباق والمقابلة والجناس وغيرها، فجاءت هذه المحسنات في ثنايا نونيتَه.

***الطبـــــاق:**

ويسمى التطبيق والتضـاد والمطابقـة والتكـافـؤ. قال "**الخليل**": طَابَقْتُ بين الشيئين إذ جمعتهما على حذو واحد[1] فهو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى[2] قد يكونان اسمين نحو قوله تعالى:﴿ **هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ **(سورة الحديد، الآية: 03).**

أو فعليــن نحـو **قوله تعالى:**﴿ **وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى**﴾، ﴿ **وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا**﴾ **(سورة النجم، الآية: 43-44).**

أو حرفي ـن نحو **قوله تعالى:**﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ **(سورة البقرة ، الآية: 228).**

ويقول "**ابن رشيق** " في هذا اللون من ألوان البديع، هو جمعك بين الضدين في الكلام أو بيت الشعر [3]. فالطباق إذن مصطلح بلاغي ينتسب إلى البديع، ويعني المطابقة بين كلمة وأخرى مضادة لها في المعنى، وهو نوعــان:

---

[1]– الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين ، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، ج 5 دط، دت، ص: 109.

[2]– السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعان ي والبيان والبديع، ضبطه: محمد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان المنصورة، ط1، 1999، ص 285.

[3]– أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج2، ط5، 1981، ص:05.

طبـاق الإيجـــاب: وهو الإتيان بالكلمة وضدها لقول "**أبي البقاء**"[1]:

لِكُلِ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَ نُقْصَانُ فَلَا يُغَرُّ بِطِيبِ العَيْشِ إِنْسَانُ

جمع الشاعر بين (تم) و(نقصا ن) في هذا البيت، حيث أتى بالكلمة وضدّها في شطر واحد ليبرز المعنى الذي أراده، وإثارة الانتباه إلى فكرة ما وترسيخها وتأكيدها في النفـس .

أما في قولـه أيضا[2]:

عَلَى دِيَارٍ مِنَ الإِسْلَامِ خَالِيَة قَدْ أَقْفَرَتْ وَلَهَا بِالكُفْرِ عُمْرَانُ

طباق جمع بين الضدين(أقفرت، عمران) ليحرك الإنسان ليتأمل هذه البلدان كما تأملها الشاعر، ثم نادى أهل الأندلس خاصة والمسلمين عامة الذين غفلوا عن بلادهم حتى ضاعت منهم قائلا[3]:

يَا غَافِلاً وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةٍ فَالدَهْرُ يَقْظَانُ

فَتَغَافلهُم غفلة وعليهم أن يعتبروا مما حدث، لأن الدهر يقظ ومصائبه تفجع الغافلين الذين لم يحتاطوا لهذا اليوم، فكان الطباق في قوله (يا غافلا، يقظان).

أما **طبـاق السلـب:** فهو الإتيان بالمعنى وضده عن طريق الإثبات والنفي، أو الأمر والنهي، نحو قول "**الرندي**"[4]:

قَوَاعِدُ كُنْ أَرْكَانَ البِلَادِ فَمَا عَسَى البَقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقَ أَرْكَانُ

كان الطباق في قوله: (البقاء، لم تبق)

لقد ورد الطباق بنوعيه في نونية "**أبي البقاء**" في عدة أبيات، نحاول حصر بعضها في هذا الجدول:

---

[1]– أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب، مج4، ص:487.

[2] - المرجع نفسه ، ص: 488.

[3]– المرجع نفسه ، ص: 487.

[4]– المرجع نفسه ، ص:487.

الطبـاق	نوعـه	البيـــت
تمّ، نقصان	إيجاب	لِكُلِ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَ نُقْصَانُ
أقفرت، عمران	إيجاب	قَدْ أَقْفَرَتْ وَلَهَا بِالكُفْرِ عُمْرَانُ
يقظان، غافلا	إيجاب	يَا غَافِلاً وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةٍ فَالدَهْرُ يَقْظَانُ
مسرات، أحزان	إيجاب	وللزمان مسرّات وأحزان
سره،ساءته	إيجاب	من سره زمن ساءته أزمان
الأمس، اليوم	إيجاب	بِالأَمْسِ كَانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِهِمْ وَاليَوْمَ هُمْ فِي بِلَادِ الكُفْرِ عُمْرَانُ
البقاء، لم تبقْ	سلب	عَسَى البَقَاءُ إِنْ لَمْ تَبْقَ أَرْكَانُ
أنست، نسيان	سلب	تِلكَ المُصِيبَة أَنْسَتْ ما تَقَدّمَها وَمَالهَا مِنْ طُول الدَّهْرِ نِسْيَانُ

من خلال دراستنا لنونية "**أبي البقاء الرندي** " نلاحظ أن الطباق قد ورد بشكل كبير خاصة طباق الإيجاب خلافا لطباق السلب الذي لم يوظفه "**الرّندي**" بكثرة، ذلك لأن الطباق يعد من أهم وسائل اللغة لنقل الإحساس بالمعنى و الفكرة والموقف نقلاً صادقا، فذلك الإحساس يتمثل في شعور "**الرندي**" بالاغتراب وهو يصور لنا الأندلس وما حصل لها وكيف سقطت مدنها الواحدة تلوى الأخرى، وكيف أصبحت مدينة تَعمُر بالكفر بعد أن كانت عامرة بالإسلام، فهذه الثنائيات المتضادة تلعب دورًا أساسيا في إيضاح المعنى وإيصاله إلـى المتلقـي.

***المقابلـــــــة:**

هي أن يُؤْتىَ بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثم بمَا يُقابلها على الترتيب [1]

نحو قوله تعالى: ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى** (5) **وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى** (6) **فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى** (7) **وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى** (8) **وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى** (9) **فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى** (10) ﴾ **(سورة الليل، الآيات: 05-10).**

[1]- الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة- المعاني والبيان والبديع-، تح :إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 2003، ص: 295.

أما " **قُدامة بن جعفر** " يرى فيها« **أن يصنع فيها الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض والمخالفة، فيأتي بالمُواقف بما يُوَافِقْ وفي المخالف بما يُخالف على الصحة** »[1] فهي ليست حيلة أو زخرفة شكلية ولكنها عنصر أساسي في بناء الصورة الشعرية وإيضاحها وإضفاء المُسحة الجمالية عليها.

إن أسلوب المقابلة في النونية قليل جدًا، وقد ورد في قوله[2]:

بِالأَمْسِ كَانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِهِمْ وَاليَوْمَ هُمْ فِي بِلَادِ الكُفْرِ عُبدَانُ .

فالمقابلة كانت في قول الشاعر: بِالأَمْسِ كَانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِهِمْ ⟸⟹ وَاليَوْمَ هُمْ فِي بِلَادِ الكُفْرِ عُبدَانُ.

أما في قولـه[3]:

عَلَى دِيَارٍ مِنَ الإِسْلَامِ خَالِيَة قَدْ أَقْفَرَتْ وَلَهَا بِالكُفْرِ عُمْرَانُ

المقابلة في قوله: (من الإسلام خالية ⟸⟹ لها بالكفر عمران)

لقد استخدم "**الرندي**" المقابلة بنسبة ضئيلة لأن الطباق هو الغالب على القصيدة، لكن هذا لا يُخفي دورها في تحريك مشاعر الاغتراب في نفس الشاعر، والكشف لنا عن معانيها.

***الجنـــــاس:**

هو من المحسنات اللفظية، يعرفه "**ابن معتز** " فيقول: هو أن تَجيء الكلمة تُجانس أخرى في بيت شعرٍ وكلامٍ، ومجانستها لها أن تُشبهها في تأليف حروفها[4].

---

[1]– أبو الفرج قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ط، دت ص : 141.

[2]– أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب، مج 4، ص: 488.

[3]– المرج نفسه ، ص : 487 .

[4]_أبو العباس عبد الله ابن المعتز : كتاب البديع ، تح : عرفان مطرجي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 2012 ، ص : 36 .

فالجناس هو اتفاق اللفظين في وجه من الوجوه مع اختلاف معناهما وينقسم الجناس إلى قسمين:

أ . الجنـــاس التـــام: هو أن تكون اللفظة تصلح لمعنيين مختلفين، وتتفق الكلمتان في لفظهما،ووزنهما، وحركاتهما؛ أي تتفق اللفظين في كل شيء عدا المعنى[1].

ب . الجنـــاس النـــاقص: هو ما اختلف فيه الالفظان في الصوت أو الشكل أو العدد أو الترتيب نحو قول الشاعر[2]:

دَارَ الزَّمَانِ عَلَى دَارَا وَقَاتِلُهُ وأَمَّ كِسْرَى فما آواه إيوانُ.

نجد هنا اختلاف في نوع الحروف وعدها في (دَار، دَارًا) . ومن أمثلة الجناس الأخرى الواردة في النونية ما ورد في الجدول التالي:

الجنـــاس	نوع ـه	البيـــت
شاده، شداد	ناقص	وأَيْنَ شَاده شَدادٌ في إرم
أحال، حالهم	ناقص	أحال حَالُهُمْ كُفْرٌ وطُغْيَانُ
مَلِكٍ، مُلْكٍ	ناقص	وصَارَ مَا كانَ مِنْ مَلِكٍ و مُلْكٍ

من الواضح شيوع الجناس في هذه القصيدة، فَمَزِيَّتُهُ أنه ذو وقع شجِيٍّ وتأثير قوي في النفوس، خاصة إذا جاء عفوًا دون قصد، فله أثر واضح في نفس المتلقي، وبخاصة إذا كان لطيفا على الأذن، يقرع أذن السامع بين الفينة والأخرى.

[1]– محمد علي سلطاني: المختار من علوم البلاغة والعروض، دار العصماء ، سوريا، ط1، 2008، ص: 163.

[2]– أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب، مج 4، ص : 487.

***التصـريــع:**

وهو أن يعمد الشاعر– في مطلع قصيدته إلى إقامة القا فية– في عروض البيت وضربه[1]؛ أي أن يُلحق الشاعر العروض بالضرب وزنًا وقافية.

قال "**ابن رشيق**" هو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه تنقص بنُقصه وتزيد بزيادته[2] ولا يكون إلا في المطلع.

فمثال ذلك قـول "**أبو البقاء الرندي**" في مطلع نونيته[3]:

لِكُلِ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ فَلَا يَغِرُّ بِطَيْبِ العَيْشِ إِنْسَانُ.

يلاحظ أن "**أبا البقاء** " قد التزم في البيت الأول من هذه النونية بالتصري ع في قوله (نقصان، إنسانُ) وهو يقر من خلال ذلك بقاعدة إنسانية عظيمة مستمدة من الحياة.

فالتصريع هنا يعطي القصيدة درسا موسيقي ا جميلا تطرب له الأذن، ويُحقق تناغمًا بين الموسيقى الداخلية والخارجية، مما يشد سمع المتلقي.

2 . 2 . التكـــرار :

إن التكرار تقنية جمالية تختلف درجتها وطريقتها من شاعر إلى آخر، وذلك من خلال إعادة وحدات صوتية معينة في النص الشعري، فتجعله حافلًا بالإيقاعــات.

***تكــرار الحــرف:**

ما يلاحظ على قصيدة "**أبو البقاء**" استخدامه لحرف النون والقصيدة بكاملها تحتوي على حرف النون، لذلك جاءت تسميتها بنونية "**الرندي**"، لأن كل أبياتها تنتهي بحرف النون مثل (نقصان، إنسانُ، زمن، يزن، غمدان، تيجان، ساسان،أحزان، بلدان، ثهلان...إلخ).

---

[1]– محمد علي سلطاني: المختار من علوم البلاغة والعروض، ص:174.

[2]– ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص: 173.

[3]– أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج 4، ص: 487.

***تكـرار الكلمـــة:**

يخلص "**صلاح فضل** " إلى أن قيمة كل عنصر بنائيًا تكمن على وجه التحديد في كيفية إدماجه وتصاعده إلى ما يليه فتكسب بذلك الصيغ أهمية خاصة، ويصبح تكرارها ليس مجرد توقيع موسيقي رتيب، بل إمعان في تكوين التشكيل التصويري للقصيدة و دعما لمستوياتها العديدة[1].

وقد شكل التكرار في قصيدة "**أبي البقاء الرندي** " حضورًا مميزًا وظفه الشاعر للتعبير عن مشاعر الاغتراب لديه وانفعالاته، مما أثر على المستوى الشعوري للقصيدة، فتكرار لفظة معينة يُنتج ضربات إيقاعية تترك أثرها في المتلقي، حيث يقول "**الرندي**"[2]:

فَجَائِـعُ الدَّهْـــرِ أَنْـوَاعٌ مُنوعـــة وَلِلزّمَـــانِ مَسَـــرَّاتٌ وَأَحْـــزَانُ.

نراه هنا يكرر كلمة أنواع مع اختلاف طفيف في صياغتها، وذلك للتعبير عن فجائع الدهر وهي كثيرة، لذلك على الإنسان أن لا يغتر بما يراه من نعيم زائل فالأندلس قد حل بها من الفجائع ما لم يكن في الحُسبان ؛ وكلمة أنواع بهذه الصيغة دلت على التكثير والتأكيد.

يقول "**الـــرنـدي**" [3]:

أَيْنَ المُلُوكُ ذُوو الّتيجَانِ مِنْ يَمَنٍ وَأَيْـنَ مِنْهـُمْ أَكَالِيـــلُ وَتِيجَانُ

وَأَيْنَ مَا شَـــادَهُ شَدَّادُ فِـي إِرَم وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الفُرْسِ سَاسَانُ

فلفظة "أين" في هذين البيتين غرضها الاستفهام، وكذلك تنبيه المتلقي إلى هذه الشواهد التاريخية في فناء وزوال الدول.

---

[1]- صلاح فضل: إنتاج الدلالة الأدبية، مؤسسة مختار، القاهرة، مصر، ط1، د ت، ص: 275.

[2]- أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج 4، ص: 487.

[3]- المرجع نفسه ، ص: 487.

ومن ذلك أيضا قوله[1]:

تَبْكِي الحَنِيفَةُ البَيْضَاءُ مِـــنْ أَسَفٍ كَمَـا بَكَى لِفـرَاقِ الإِلْـفِ هَيْمَـانُ

نلاحظ أن الشاعر قد كرر الفعل" بكى"، مرة في الزمن المضارع، ومرة أخرى في الزمن الماضي للدلالة على أن المصاب الجلل الذي أصاب الأندلس لا يخص المسلمين فقط، وإنّمـا يخص الإسلام فحتى الحنيفيَة البيضـاء بكت لذلك.

***تكـرار أدوات النـداء والاستفهـام:**

عند ما يكرر "**الرندي**" هذه الأصوات فالغاية منها ؛ هي الحفاظ على يقظة القارئ ومشاركته له في تَمثل حجم المصيبة التي حلت بالأندلس، فتكرار أدوات النداء وأدوات الاستفهام يثير عقل ووعي ووجدان السامع حيث يقول[2]:

يَا غَافِلاً وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَـــةٌ إِنْ كُنْتَ فِـي سِنَةٍ فَالدَهْـرُ يَقْظَـانُ

وقـولـه أيضـا:

يَا رَاكِبِينَ عِتـــاقَ الخَيْلِ ضامرة كَأَنَهَـــا فِي مَجَـالِ السَبْقِ عُقْبَـانُ

وقوله أيضـا[3]:

وَأَيْـنَ قُرْطُبَـةُ دَارُ العُلُومِ، فَكَـــمْ مِـــنْ عَالِمٍ قَـدْ سَمَـا فِيهَا لَهُ شَانُ

وَأَيْنَ حِمْصُ وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نُـــزَهٍ وَنَهْرُهَـــا العَـــذْبُ فَيَّـــاضٌ وَمَـلأْنُ

إن تكرار هذه الأدوات ي منح المتلقي ألحَانا مختلفة وتأثيرات متنوعة،ت خلق نوعا من الانسجام بين الموسيقى والحالة النفسية للمبدع، والإحباط الذي كان عليـه.

فهـو ينادي الغافلين اللاهين عن أوطانهم، ليفيقوا من غفلتهم، بعد أن تحسّر وتعجب، كما تأسف على ضياع هذه البلاد، وعلى حالها في ق ـولـه:(أين قرطبة ، أين

---

[1]- أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج 4،ص: 487.

[2]- المرجع نفسه ، ص: 488

[3]- المرجع نفسه، ص: 487.

حمص ...) ؛وهو استفهام لاستعظام أمر ظاهر يراد به المبالغة في إظهار التعجب والتحسر والألـم مما يحـدث .

***تكـرار حروف المـد :**

لقد برزت ظاهرة تكرار حروف المد في نونية " **أبي البقاء الرندي**" حتى أصبحت ميزة لافتة .

لاشك أن حروف المد تحتاج زمنا طويلا عند النطق بها. فهذا الأمر يعطيها القدرة الفائقة على أن تخلق نوعا من الانسجام بين الموسيقى والحالة النفسية الشعورية للشاعر ، و من ذلك قولـه:[1]

لِكُلِ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَ نُقْصَانُ فَلَا يُغَرُّ بِطِيبِ العَيْشِ إِنْسَانُ

هِيَ الأُمُورُ كَمَا شَاهَدَتْهَا دُوَلٌ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ

وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تَبْقِي عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ

يُمَزِّقُ الدَّهْرُ حَتْمًا كُلَّ سَابِغَةٍ إِذَا نَبَتْ مُشْرَفِيَاتُ وَخُرْصَانُ

وَيَنْتَضِي كُلُّ سَيْفٍ لِلفَنَاءِ وَلَوْ كَانَ ابْنَ ذِي يَزَنٍ وَالغِمْدُ غِمْدَانُ

أَيْنَ المُلُوكُ ذُوو التِّيجَانِ مِنْ يَمَنٍ وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلُ وَتِيجَانُ

وَأَيْنَ مَا شَادَهُ شَدَّادُ فِي إِرَم وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الفُرْسِ سَاسَانُ

وَأَيْنَ مَا حَازَهُ قَارُونُ مِنْ ذَهَبٍ وَأَيْنَ عَادٌ وَشَدَّادُ وَقَحْطَانُ

أَتَى عَلَى الكُلِّ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ حَتَى قَضَوا فَكَأَنَّ القَوْمَ مَا كَانُوا

تتميز هذه الأبيات بكثافة حروف المد بشكل لافت ، إذ لا تكاد تخلو كلمة من كلماتها تقريبا من المد ، والملاحظ أن حرف الألف قد تردد في أغلب كلمات الأبيات السابقة لذلك يفرض جوا من الموسيقى الحزينة التي تعبر عن آهات الشاعر المنبثقة من نفسية منهـارة تشعر بالاغتراب والألم فأراد الشاعر أن يبُثَ هذه المشاعر من خلال نونيتـه.

[1]– أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج4، ص: 487.

تفيد هذه المحسنات البديعية في تنسيق الكلام و تجميله ، وتحسين الأسلوب، واكتسابه رونقا وزخرفا موسيقي تطرب النفس وتأسر القلوب وتسحرها و بالتالي تبهر العقول وتدعو النفوس للتدبر في المعاني .

المبحث الثاني: المستـــــوى التركيبـــــي :

لقد وظف "**أبو البقاء الرندي** " في نونيته التي يرثى فيها الأندلس عدة أساليب منها أساليب خبريـة وأخـرى إنشائيـة.

1 . الأساليب الخبــرية في النونيـــة :

الخبر هو ما يصح أن يقال لصاحبه إنه صادق فيه أو كاذب، فإن كان الكلام مطابقا للواقع كان قائله صادقا، وإن كان غير مطابق له كان قائله كاذبا [1]، فالغرض منه هو الإفصاح والإخبار بالحقيقة إذ يتجلى لنا ذلك في القصيدة من خلال قول الشاعر[2]:

لِكُلِ شَيْءٍ إِذَا مَـا تَـمَ نُقْصَـانُ فـَلَا يُغَـرُّ بِطِيب العَيْشِ إِنْسـَانُ

استهل الشاعر قصيدته بقاعدة إنسانية ثابتة مصدرها أن كمال أي شيء مَ آلُهُ إلى الزوال وهو بذلك يُسلي نفسه عمّا حل بأهل الإسلام في الأندلس، موظفا تراكيب الأسلوب الخبري في الأبيات الخمسة الأولى ذلك أن الفطرة الإنسانية مقرة بما ذكره.

فكان الغرض من ذلك هو الإقرار وتأكيد حقيقة أنه لا وجود لشيء كامل ، كما نجد أساليب إخبارية في أبيات أخرى تظهر في قوله[3]:

حَيْثُ المَسَاجِدُ صَارَتْ كَنَائِسَ مَـا فِيهِـــــنَّ إِلَا نَوَاقِيـــسُ وَصُلْبَـــانُ

فالشاعر يخبرنا عمّا قام به الصليبيون فقد دمّروا كل ما بناه المسلمين فحولوا المساجد إلى كنائس؛ وهذه إشارة إلى محاولة إزالة الدين الإسلامي لتحل محله الديانة المسيحية، فالغرض هنا الإخبار بالحقيقة التي يعيشها الشاعر، وهي حقيقة تحمل في ثناياها التحسر والألم النابعة عن نفسية الشاعر المنهارة.

---

[1]– محمد أحمد قاسم محي الدين ديب: علوم البلاغة (البديع، البيان، والمعاني) ،المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس لبنان ، ط1، 2003، ص: 269.

[2]– أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج 4، ص: 487.

[3]– المرجع نفسه ، ص: 487.

2 . الأساليـب الإنشائيـــة:

الإنشاء هو ما لا يصحُّ أن يُقال لقا ئله إنه صادق فيه أو كاذب [1]، وذلك لأن المتكلم بأساليب الإنشاء إنمّا يعبر عن شعورهِ.

لقد استعمل "**الرندي**" أساليب إنشائيَّة في قصيدته، تحمل هذه الأخيرة عدّة أغراض كالاستفهام والأمر وغيرها .

***الاستفهـــــام:**

هو طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل و ذلك بأحد أدوات الاستفهام (الهمزة، هل، منْ متى، أيّان، كيف، أين...إلخ) ويعد الاستفهام من الأساليب التي ترددت كثيراً في نونية "**أبي البقاء الرندي** " ؛ فمن خلال هذه الظاهرة الأسلوبية استطاع أن يبث شعـوره بالاغتراب وحزنـه الشديد على الأندلس حيث يقول[2]:

دَهَــى الجَزِيــرَةُ أَمــرٌ لَا عَزَاءَ لَهُ هَــوَى لَـهُ أُحُــدٌ وَ انْهَــدَّ ثَهْــلَانُ

أَصَابَهَا العَيْنُ فِي الإسلام فَامْتَحَنــَتْ حَتَى خَلَتْ مِنْــهُ أَقْطَــارُ وَبُلْــدَانُ

فَاسْأَلْ بَلَنْسِيَةُ مَا شَــأْنُ مُرْسِيَة وَأَيــْنَ شَــاطِبةُ أَمْ أَيْــنَ جَيَّــانُ

وَأَيْــنَ قُرْطُبَــةُ دَارُ العُلُومِ، فَكَــمْ مِــنْ عَالِــمٍ قَدْ سَمَــا فِيهَا لَهُ شَانُ

وَأَيْنَ حِمْصُ وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نُــزَهٍ وَنَهْرُهَــا العَــذْبُ فَيَّــاضٌ وَمَـلأْنُ

قَوَاعِــد كُــنَّ أَرْكَــانِ البِلَادِ فَمَــا عَسَــى البَقَــاءُ إِذَا لَــمْ تَبْقَى أَرْكَانُ.

فالشاعر يورد المأساة في سياق الاستفهام مع حذف جوابه، لأن الاستفهام ليس على حقيقته وإنما هو استفهام بلاغي لا يحتاج إلى جواب غرضه الحسرة.

---

[1]– محمد علي سلطاني: المختار من علوم البلاغة والعروض، ص: 29.

[2]– أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج 4، ص: 487.

فهو يريد من هذا الاستفهام أن يعبر عن صرخة داخلية تعبر عن انفعال عنيف ي حس به الشاعر ويريد أن يهزّ به مشاعر غيره، فلا فائدة من الجواب في هذه الحالة التي تعبر عن المأساة والحزن لما أصاب قواعد الإسلام.

كما نجد الاستفهـام أيضا فـي قولـه[1]:

أَيْنَ المُلُوكُ ذُوو التِّيجَانِ مِنْ يَمَنٍ وَأَيْـنَ مِنْـهُـمْ أَكَالِيـلُ وَتِيجَانُ

وَأَيْنَ مَا شَـادَهُ شَدَّادُ فـِي إِرَم وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الفُرْسِ سَاسَانُ

وَأَيْنَ مَا حَازَهُ قَـارُونُ مِنْ ذَهَبٍ وَأَيْنَ عَـادٌ وَشَـدَّادُ وَقَحْطَـانُ

فالأسلوب الإنشائي في هذه الأبيات يحمل صيغة الاستفهام مع أنه غير حقيقي فهو يحمل غرض الحسرة والعزاء على السابقين وفنائهم للتخفيف من وقع المصيبة التي حلت بهـم.

ويظهر الاستفهـام أيضا من خـلال قولـه[2]:

كَمْ يَسْتَغِيثُ بِنَا المُسْتَضْعَفُونَ وَهُمْ قَتْلَـى وَأَسْرَى فمـا يَهْتَزُّ إِنْسَـانُ

"**فالرندي**" بهذا السؤال ينبه المسلمين عن غفلتهم، ويدعوهم إلى أخذ العبرة من سقوط المدن الأندلسية، كما يفيد هذا الاستفهام التوبيـخ، فنجده يُوبّخُ المسلمين لتقاعسهم عن نُصرة إخوانـهم وكأنّه لا شأن لهم لما حصل لإخوانهم في الأندلس.

***الأمـــــــــــر:**

هو طلب« **حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء** »[3] إلا أنه قد يخرج عن معناه الأصلي كالدعاء والالتماس، وغير ذلك.

فقد ورد أسلوب الأمر في نونية "**أبي البقاء الرندي**" في موضع واحد وهو قوله[4]:

فَاسْأَلْ بَلَنْسِيَةُ مَا شَـأْنُ مُرْسِيَـةٍ وَأَيْـنَ شَـاطِبَةُ أَمْ أَيْـنَ جَيَّانُ

---

[1]– أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج 4، ص: 487.

[2]–المرجع نفسه ، ص: 488.

[3]– السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص: 55.

[4]– أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج 4، ص: 487.

فالشاعر هنا يتحسر على المدن الأندلسية التي سقطت، فهو بذلك يتحدث عن شع وره بالاغتراب الذي خلفه هذا السقوط لأهم القواعد والأركان الإسلامية في الأندلس.

كما زاوج "**الرندي**" بين الخبر و الإنشاء في قصيدته ، فالأسلوب الخبري للوصف و سرد أحداث ، أما الإنشائي للسخرية و الاستهتار و اللوم و العتاب و التوبيخ و التعجب .

3 . التقديـم و التأخـير في النونيـة :

يمثل التقديم والتأخير في بناء الجملة الركيزة الأساسية في بلاغتها وتحقيق الكلام، وقد أدرك علماؤنا تلك الوظيفة الجليلة للتقديم والتأخير، قال "**عبد القاهر الجرجاني**" في باب القول في التقديم والتأخير: « **هو باب كثير الفوائد، جمُّ المحاسن، واسع التصرف بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعه، ويفضي ب ك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعرًا يروقك مسمعُهُ، ويَلطِف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبَبَ أن راقك ولطُفَ عَنْدَكَ أن قدّم فيه شيءٌ وحُوِّل اللفظ عن مكان إلى مكان** »[1]، فيمكن أن نعتبر أن التقديم والتأخير من المسائل التي تدل على مهارة الأديب، وقدرته على التفنن في استخدام المفردات والتراكيب اللغويـة.

3 . 1 . التقديم و التأخير في الجملة الاسمية المطلقة : (بسيطة)

يمكن تقديم الخبر على المبتدأ جو ازًا ووجوبًا، فأسلوب التقديم والتأخير يأتي في الكلام العربي شعره ونثره لِلطائف من المعاني يريد المخاطب أن يؤديها من خلاله.

وقد كان لهذه الظاهرة شيوعًا في نونية **أبي البقاء الرندي** ومن أمثلة ذلك قوله[2]:

لِكُلِ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَ نُقْصَـانُ فَـلَا يُغَـرُّ بِطِيب العَيْشِ إِنْسَانُ

نلاحظ في هذا البيت تقديم المبتدأ على الخبر، فالخبر هو الجار والمجرور (لكل شيء)

---

[1] - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: محمد رضوان الداية، فايز الداية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2007 ص :143.

[2] – أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج 4، ص: 487.

أما المبتدأ هو (نقصان) وكذلك هو الأمر في قولـه:[1]

فَجَائِـعُ الدَّهْـــرِ أَنْـوَاعٌ مُنوعـــة وَلِلزَّمَـــانِ مَسَـــــرَّاتٌ وَأَحْـــــزَانُ

وَلِلْحَـــــوَادِثِ سُلْـــوَانُ يُسَهِّلُـــهَا وَمَـــا لَمَـا حَـــلَّ بِالإِسْلَامِ سُلْـــوَانُ

ففي البيت الأول قُدم الجار والمجرور(للزمان) وقد وقع خبرا على المبتدأ (مسرات)، أما في الشطر الأول من البيت الثاني نلاحظ الأسلوب نفسه ، حيث قُدم الجار والمجرور (للحوادث) وقد وقع خبرًا أيضًا للمبتدأ (سلوان).

كما تقدم الخبر الواقع اسم استفهام على المبتدأ في الأبيات التالية من قول "**أبي البقاء الرندي**"[2]:

أَيْنَ المُلُوكُ ذُو التِّيجَانِ مِنْ يَمَنٍ وَأَيْـنَ مِنْـهُـمْ أَكَالِيـــلُ وَتِيجَـــانُ

في هذا البيت نلاحظ تقديم اسم الاستفهام(أين) الواقع في محل خبر للمبتدأ (الملوكُ).

والأمر نفسه في الأمثلة التالية:

البيـــت	نـــوع التقديـم فيـه
وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلُ وَتِيجَانُ	تقديم اسم الاستفهام على المبتدأ
وَأَيْنَ مَا شَادَهُ شَدَّادُ فِي إِرَم	تقديم اسم الاستفهام على المبتدأ
ماذا التقاطع في الإسلام بينكم	تقديم اسم الاستفهام على المبتدأ
عَلَى دِيَارٍ مِنَ الإِسْلَامِ خَالِيَة	تقديم الجار والمجرور على المبتدأ
وَلَهَا بِالكُفْرِ عُمْرَانُ	تقديم الجار والمجرور على المبتدأ
لمثل هذا يذوب القلب من كمدٍ	تقديم الجار والمجرور على المبتدأ
أمَا عَلى الخير أنصار وأعوان	تقديم الجار والمجرور على المبتدأ

[1]– أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج 4، ص:487

[2]– المرجع نفسه ، ص:487

3 . 2 . التقديم و التأخير في الجملة الاسمية المنسوخة :

نلاحظ في نونية "**أبي البقاء الرندي** " أيضا تقديم الجار والمجرور في الجملة الاسمية المنسوخة، ولكن بنسبة ضئيلة عن سابقتها ـ الجملة الاسمية البسيطة.. ومن أمثلة ذلك قول "**الرندي**"[1]:

يَا رَاكِبِينَ عِتَاقَ الخَيْلِ ضامرة كَأَنَهَا فِي مَجَالِ السَبْقِ عُقْبَانُ

وَحَامِلِينَ سُيُوفَ الهِنْدِ مُرْهَفَةٌ كَأَنَهَا فِي ظَلَامِ النَقْعِ نِيرَانُ

فقد قدم في البيت الأول الجار والمجرور(في مجال) الواقع خبر (كأن) على اسمها (عُقْبَانُ)، وكذلك الأمر في البيت الثاني، حيث قدم الجار والمجرور (في الظلام) الواقع خبر(كأن) على اسمها (نيران).

3. 3 . التقديم و التأخير في الجملة الفعليـــة :

ورد في النونية تقديم الجار والمجرور على الفاعل في مواضع عدّة نذكر منها قوله[2]:

دَهَى الجَزِيرَةَ أَمْرٌ لَا عَزَاءَ لَهُ هَوَى لَهُ أُحُدٌ وَ انْهَدَّ ثَهْلَانُ

أَصَابَهَا العَيْنُ فِي الإسلام فَامْتَحَنَتْ حَتَى خَلَتْ مِنْهُ أَقْطَارُ وَبُلْدَانُ

نلاحظ أن "**أبا البقاء** " قدم في البيت الأول كلمة (الجزيرة) على الفاعل (أمرٌ)كما قدم في كلا البيتين الجار والمجرور على الفاعل في (هَوَى لَهُ أُحُدٌ) وكذلك (خَلَتْ مِنْهُ أَقْطَارُ وَبُلْدَانُ).

ونظرًا لكثرة تساؤل الشاعر مرة عن الأمم السابقة في محاولة لتسلية نفسه وتساؤله مرة أخرى عن المدن الأندلسية حسرة وألما لضياعها فقد شاع تقديم الخبر وجوباً، لأنه من الأسماء التي يحق لها الصدارة في الكلام.

---

[1]– أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج 4، ص: 488.

[2]– المرجع نفسه، ص : 487.

ومن أمثلة ذلك قوله [1]:

فَاسْأَلْ بَلَنْسِيَةَ مَا شَـأْنُ مُرْسِيَـةَ وَأَيْنَ شَـاطِبَـةُ أَمْ أَيْـنَ جَيَّانُ

وَأَيْـنَ قُرْطُبَـةُ دَارُ العُلُومِ، فَكَـمْ مِـنْ عَالِـمٍ قَـدْ سَمَـا فِيهَا لَهُ شَانُ

وَأَيْنَ حِمْصُ وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نُـزَهٍ وَنَـهْرُهَـا العَـذْبُ فَيَّـاضٌ وَمَـلأْنُ

فشيوع الاستفهام في هذه الأبيات يدل على وجوب تقديم أسماء الاستفهام لأنها من الكلمات التي يجب فيها الصدارة في الكلام.

4 . توظيـف الأزمنـة :

الأفعال التي استعملها "**أبو البقاء الرندي** " حصرها في الأزمنة الثلاثة: الماضي المضارع، الأمر؛ حيث نلاحظ من خلال قراءتنا للنونية طغيان استعمال الأفعال الماضية وتفسير ذلك أن "**أبا البقاء الرندي** " أراد أن يخبرنا عما وقع للأندلس وانتهى، وهذا ما يدل عليه قولـه[2]:

لِكُلِ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَ نُقْصَـانُ فَـلَا يُغَـرُّ بِطِيب العَيْشِ إِنْسَانُ

إلى قولــه:

أَيْنَ المُلُوكُ ذُوو التِّيجَانِ مِنْ يَمَنٍ وَأَيْـنَ مِنْـهُـمْ أَكَالِيـلُ وَتِيجَـانُ

وَأَيْنَ مَا شَـادَهُ شَدَّادُ فِـي إِرَم وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الفُرْسِ سَاسَانُ

وَأَيْنَ مَا حَازَهُ قَـارُونُ مِنْ ذَهَـبٍ وَأَيْـنَ عَـادٌ وَشَـدَّادُ وَقَحْطَـانُ

أَتَـى عَلَى الكُلِّ أَمْرٌ لَا مَـرَدَّ لَـهُ حَتَى قَضَـوا فَكَأَنَّ القَوْمَ مَا كَانُـوا

وصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلْكٍ و مُلْـكٍ كَمَا حَكَى عَنْ خَيَـالِ الطَّيْفِ وَسِنَانُ

دَارَ الزَّمَـانِ عَلَـى دَارَا وَقَاتِلُـهُ وأَمَّ كِسْـرَى فمـا آواه إيـوان

وكذلك استعمـل الفعـل المضـارع في قوله[3]:

---

[1]- أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج 4، ص: 488.

[2]- المرجع نفسه، ص : 487 .

[3]- المرجع نفسه، ص: 487.

تَبْكِي الحَنِيفِيَّةُ البَيْضَاءُ مِـــنْ أَسَفٍ كَمَـــا بَكَى لِفِـــرَاقِ الإِلْفِ هَيْمَـانُ

عَلَى دِيَـارٍ مِـنَ الإِسْـلَامِ خَالِيـَة قَـــدْ أَقْفَـرَتْ وَلَـهَـــا بِالكُفـرِ عُمـــرَانُ

إلى قولـــه:

حَتَى المَحَارِيبُ تَبْكِي وَهِيَ جَامِدةُ حَتَـى المَنَابِـــرُ تَرْثِي وَهِـــيَ عِيدَانُ

يدل استعمال "**الرندي**" لزمن المضارع في هذه الأبيات، على أن بكاء الحنيفية والمحاريب والمنابر على إقفار ديار الإسلام سيبقى وإن طال الزمن حتى يأتي نصر الله أو تقـوم الساعـــة.

كمـا استعمـل الأمـر في قولـــه[1]:

دَهَـــى الجَزِيـــرَةَ أَمـــرٌ لَا عَزَاءَ لَهُ هَـــوَى لَـــهُ أُحُـدٌ وَ انْهَـــدَّ ثَهْـلَانُ

أَصَابَهَا العَيْنُ فِي الإسلام فَامْتَحَنـــتْ حَتَى خَلَتْ مِنْـــهُ أَقْطَـــارُ وَبُلْـــدَانُ

فَاسْأَلْ بَلَنْسِيَةَ مَا شَـأْنُ مُرْسِيَـــة وَأَيْـنَ شَـــاطِبَةُ أَمْ أَيْـــنَ جَيَّـــانُ

ورد فعل الأمر في النونية في موضوع واحد، و "**أبو البقاء الرندي** " من خلاله يتحسّر ويتألم ، حتى تزعزت الجبال الراسيات لما حل بالإسلام في الأندلس، كما يصور لنا هول المصيبـة وشدتهـــا.

[1]– أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج 4، ص : 487

المبحث الثالث : المستـــوى الـــدلالـــي و المعجمي:

لقد خصصنا هذا العنصر لدراسة الصور الفنية في النونية بالإضافة إلى المعجم الدلالي، محاولين بذلك التوفيق بين حالة الشاعر النفسية، واللغة التي أراد من خلالها أن يبث آلام-ه وأحزان-ه، على اعتبار أن القصيدة رثائية.

1 . المعجـــم اللغـــوي :

فمن خلال قرا ءتنا لنونية "**أبي البقاء الرندي** " التي قالها في سياق ال رثاء والبكاء على ما ضَاع من أركان الأندلس، فجاءت بذلك ألفاظه رقيقة شجية دالة على الهول الذي أصيب بـه أه-ل الأندلس في شبـه الجزيرة الايبيرية.

وعلى هذا فإننا نستطيع القول إن المعجم اللغوي في نونية "**الرندي**" يتشكل مما يلي:

***الألفاظ الدالـــة على الحســـرة والألـــم:**

إن ما أصاب الشاعر بصفة خاصة وأهل الأندلس بصفة عامة، كفيل بأن يوحي بمشاعر المأساة والآلام التي أصيب بها المسلمون هناك، فمن يقرأ نونية "**أبي البقاء الرندي**" يحس بمشاعـر الأسى والحـزن واليـأس.

فبالنظر إلى هذا المعجم يمكن إجمال ألفاظه فيما يلي(تبكي، بكى، ترثي، المستضعفون عبدان حيارى، بكاهم، حيران، كمد، أحزان، التقاطع في الإسلام) هذه الألفاظ وغيرها تعتبر نموذجا للحزن والأسى فكلها قد سببت الرعب والرَوَع في قلوب الأندلسيين، فأحاط بهم الشعور بالاغتراب وهم يتحسّرون على ما وقع للأندلس ، فوظف "**الرندي**" لذلك ألفاظا يكون الغرض منها التشاؤم نحو قول(نقصان، ساءه، أحزان، خلت، لا تبقي،لا يدوم ، يمزق عزاء خالية، مصيبة...إلخ).

***الألفـاظ الدالـة علـى التفـاؤل:**

بعدما وظف الشاعر ألفاظا تدل على التشاؤم والحزن واليأس من هذه الحياة، استعمل في مقابلها ألفاظا أخرى تدل على الفرح والأمل مثل: (يق ظان، مرحًا، عز، سلطان، إيمان همم، الخير، أنصار).

لقد استعمل "**الرندي**" الألفاظ الدالة على التفاؤل من أسماء و صفات وذلك لاستنهاض الهم م على خلاف توظيفـه للتشاؤم من أجل التحسُّر والندم على ما فـات.

***الألفـاظ الدالـة علـى العقيـدة:**

ليس المقصود هنا بـ (العقيدة) المصطلح عليها بين علماء الشريعة، وإما المقصود رموز الديانة، وبما أن "**أبا البقاء**" من أهل الإسلام فإن عقيدته ضمنت بالضرورة معجمًا لغويًا دالّا على رموز أهل هذا الدين، فأشار إلى أول شيء وجهت له أيدي التخريب و هي تلك الرموز الإسلامية الدالة على العقيدة الإسلامية.

فالقارئ لنونية "**الرندي**" يجد كثرة تردد الألفاظ الدالة على ديانة أهل الأندلس وهي(الإسلام، الإيمان المحاربين، المنابر، الحنيفية، البيضاء، المساجد، عباد الله، بلاد الإسلام) لقد دلت هذه الألفاظ على أن المصاب هو الدين الإسلامي، فقد وظفها الشاعر ليحرك مشاعر المجاهدين من أهل المغرب، لأنهم أهل ديانة واحدة، والرموز المصابة في الأندلس هي رمـوزهم جميعا، ولا يختص بها أه ـل بلـد دون بلـد.

***ألفـــــاظ الطبيعيـــــة:**

شاعت مفردات الطبيعة في النص الشعري حيث أخذت حيزاً من هذا المعجم الشعري في نونية "**الرندي**"، إذ نجده انقاد إلى طبيعة الأندلس الجميلة ومناظرها الخلابة، حيث يذكر الشمس، البحر, النهر, أكاليل، نزه).

كما نلاحظ أنهلم يكثـر في هذا الحقل من الألفاظ الدالـة على الطبيعـة.

لم يكتف الشاعر بتوظيف هذه الألفاظ والمعاني، بل تعدى إلى توظيف أسماء لشخصيات غائبة، وذلك بغرض التحسُّر على ما فات منها، ذكره ل .: "**سيف بن ذي يزن**" "**شداد**"، "**ساسان**"، "**قارون**"، "**عاد**"، "**قحطان**" , "**سليمان** "؛ فهذه الشخصيات التي استعان بها "**الرندي**" في نونيته كـان لها ذلك الشأن العظيم في ذلك الزمـن.

2 . الثنائيـــــات الضديـــة :

يعرّف " **جميل صليبا**" " الضدّ" Contraire بقوله :« **هو المخالف والمنافي ويطلق على كل موجود في الخارج مُساوٍ في قوته لموجود آخر ممانع له، أو على موجود مشارك لموجودٍ واحدٍ، ولا تجتمعان كالسّواد والبياض، التهور والجبن**»[1].

أي أنّ الثنائيات الضديّة في مجمل القول هي: الكلمة وضدُّها؛ أي الكلمة والمقابل لها والمغاير للمعنى الأوّل كقولنا الحياة والموت، العلم والجهل...إلخ.

استعان "**أبو البقاء** " بتقنية الثنائيات الضدّية، ليبرز لنا شدة تأثره بما حلّ لبلاد الأندلس عامة، لا سيما أنه قد أقامها على مفكرة انقلاب الزمن؛ فنجده يصور الأندلس وأهلهـا ومدنها" قبـل السقـوط.

إنّ المتمعن في طيّات القصيدة، يجد بأنها حافلة بهذا النوع من الصناعة الفنية (الثنائيات الضدّية)، وهذا إن دلَّ على شيء فهو يدل على:

*مدى تمكن الشاعر ومدى حسن اطلاعه وحذقه، وسعة ثقافته بها، فالشعر صناعة لا يستقيم أمـرهُ لأي كـان.

*إن استعمال هذه" التقنية" كان بغرض است دعاء انتباه المتلقي، ووضعه في صورة ما ألّم بالأندلـس من انهيـار وتلاشي.

[1]– جميل صليبا : المعجم الفلسفي– بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، ج1، ص: 755–754.

***ثنائيـة المسـرّات والأحـزان:**

إنّ كلمة مسرات مناقضة لكلمة أحزان، وقد استعمله ما الشاعر ليبين لنا حال قومه بعد أن سقطت معظم مدنه ومماليكه في أيدي الأعداء.

فالإنسان يشعر بالسرور إذا كان يعيش في استقرار سياسي واجتماعي واقتصادي؛ فنقول أنّ هذا الإنسان في قومه تسوده مسرّات؛ أي أنه مستقر في وطن لا توجد به حروب ولا انقلابات.

أما شعور الإنسان بالحزن فيكون نتيجةً لفُقدان الاستقرار من جميع نواحي الحياة. إذ تظهر لنا هذه الثنائية من خلال قول "**الرندي**"[1]:

فَجَائِعُ الدَّهْرِ أَنْوَاعٌ مُنوعة وَلِلزّمَانِ مَسَرَّاتٌ وَأَحْزَانُ

أراد الشاعر من خلال هذه الثنائية أن يصور لنا حال بلاد الأندلس قبل أن تسقط في أيادي النصارى , و حالهم بعد هذا السقوط . وهذا يدل على مدى تأثر الشاعر بما حصل لبلاده وكذلك حبه الشديد له, مما أدى إلى شعوره بالاغتراب وسط ها التغيير الحاصل في الأندلس.

***ثنائيـة الإسـلام و الكفـر:**

لقد صور الشاعر حال قومه بعد أن فعل بهم النصارى ما فعلوا , فنجده يقول [2]:

أَصَابَهَا العَيْنُ فِي الإسلام فَامْتَحَنَتْ حَتَى خَلَتْ مِنْهُ أَقْطَارُ وَبُلْدَانُ

إلى أن يقول :

حَيْثُ المَسَاجِدُ صَارَتْ كَنَائِسُ مَا فِيهِنَّ إِلَا نَوَاقِيسُ وَصُلْبَانُ

حَتَى المَحَارِيبُ تَبْكِي وَهِيَ جَامِدةُ حَتَى المَنَابِرُ تُرْثِي وَهِيَ عِيدَانُ

---

[1]- أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج 4، ص :487.

[2]- المرجع نفسه ، ص :487.

أراد الشاعر لأن يبين لنا كيف خَلت الأندلس من الإسلام بعد أن كانت عامرة به، فيقول بأن المساجد قد أصبحت كنائس صار فيها نواقيس وصلبان.

***ثنائيـة العــزّ والـــذّل:**

يقول "**أبو البقاء الرندي**" في ثنائية الغز و الذل [1]:

وَرَاتِعِـــينَ وَرَاءَ البَحْرِ فِي دَعَـــةٍ لَهُـــمْ بِأَوْطَانِهِـمْ عِـزٌّ وَسُلْطَـان

إلى قوله:

فَلَـوْ تَرَاهُمْ حَيَـارَى لَا دَلِيلَ لَهُمْ عَلَيْـهِمْ مِـنْ ثِيَابِ الـذُّلِ أَلْـوان

يصور لنا الشاعر في البيت ا لأول الأندلس كيف كانت عزيزةً، إذ أنها تحتلُّ مكانة مرموقة بين الدول، أما في البيت الثاني؛ فهو يصور لنا حال قومه بعد أن فقدوا معظم مدنهم إذ أصبحوا في حيرةٍ من أمرهم، فهذا ما جعلهم يرتدون ثياب الـذُّل.

لقد كشفت لنا هذه الثنائيات الضدّية عن التحول الذي حوَّل الملوك إلى أذلة والأسياد إلى عبدان، والحرائر سبيَّات، والأطفال أيتامًا مشردين، وأكرهت العذارى على البغاء في يد العلج باكيات حيارى , فنجد الشاعر يزداد حسرة ويأسًا في البيت الأخير الذي يقول فيه[2]:

لِمِثْلِ هَذَا يُذَابُ القلبُ مِـــنْ كَمَـــدٍ إِنْ كَانَ فِي القَلْبِ إِسْلَامُ وإِيمَـــانُ

فهو مُكتو بنار الخيبة وانتصار الكفر الذي حوَّل الأندلس إلى بلد اسمه اسبانيا، وذلك كله نتيجة تفريط أمراء الأندلس في دينهم الإسلامي الذي دخلوا به الجزيرة الايبيرية.

---

[1]- أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج 4، ص :488.

[2]- المرجع نفسه ، ص :488.

3 . الصـــــور الفنيـــــــة :

يُعرف علم البيان بأنه علم « **إيراد المعنى الواحد بطرقٍ مختلفة في وضوح الدلالة عليه، إما على ما وُضع له، أو على غيره** »[1]، فمجاله هو مختلف الصور الأدبية التي يبدعها المتكلم فيستطيع من خلالها التعبير عن المعنى الواحد بطرق مختلفة فيكتسب من خلالها جمالًا يستحسنه المتلقي.

***التشبيـــــــه :**

هو أحد ألوان البيان في البلاغة العربية، كما أنه فن من فنون القول، له « **روعة وجمال وموقع حسن في البلاغة، وذلك لإخراجه الخفي إلى الجلي، وَإدْنَائه البعيد من القريب، ويزيد المعاني رفعه ووضوحا، ويكسبها جمالا وفضلاً، ويكسوها شرفا ونُبلاً، فهو فن واسع النطاق** »[2]؛ فهو صورة تقوم على تمثيل شيء (حسي أو مادي) بشيء آخر (حسي أو مادي) لاشتراكما في صفة (الحسية والمادية)؛ بمعنى المقارنة بين شيئين اشتراكا في صفة أو أكثر.

قال "**القزويني**" في الإيضاح: «**اعلم أنه مما اتفق العقلاء على شرف قَدْرِهِ، وفخامة أمره في فن البلاغة، وأن تعقيب المعاني به يُضاعف قواها في تحريك النفوس إلى المقصود بها مدحًا كانت أو ذمًّا، أو افتخارًا، أو غير ذلك** »[3]، وأركان التشبيه أربعة: المشبه، المشبه به، ويسميّان طرفي التشبيه وأداة التشبيه ووجه الشبه.

لقد وظف "**أبو البقاء الرندي** " هذا الفن الجميل في نونيته، وذلك لإظهار جماليات النص، فأخذ يحلق بنا في آفاق الخيال، وعمق المعاني، من ذلك قوله[4]:

يَا رَاكِبِينَ عِتـــاقَ الخَيْلِ ضامرة كَأَنَهَــا فِي مَجَــالِ السَبْـقِ عُقْبَانُ

---

[1]–ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص: 254.

[2]– السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان و البديع ، ص: 205.

[3]– الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة –المعاني والبيان والبديع –، ص: 164.

[4]– أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج 4، ص : 487.

لقد شبه الخيل ال ضامرة بالنسور في القوة والانقضاض والسرعة؛ يعتبر هذا وجه الشبه وأداة التشبيه هي (كأن) وهذا النوع من التشبيه يسمى تشبيها مرسلاً.

ومن التشبيهات أيضا ما جاء في قوله[1]:

أَتَى عَلَى الكُلِّ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ حَتَى قَضَوا فَكَأَنَّ القَوْمَ مَا كَانُوا

نلاحظ في هذا البيت تشبيهًا آخر مرسلا وأداة تشبيه (ك أن) حيث شبه هؤلاء القوم بعد اندثارهم، بالشيء المعدوم الذي لا أثر له؛ أي أنهم لم يوجدوا في الأصل.

وكذلك التشبيه في قوله[2]:

وَحَامِلِينَ سُيُوفَ الهِنْدِ مُرْهَفَةٌ كَأَنَهَا فِي ظَلَامِ النَقْعِ نِيرَانُ

حيث شبه هيئة السيوف وهي تبرق وسط غبار المعركة الكثيف، بالنار التي تضيء ظلام الليل فتبرز وتتضح.

هذا وقد استعمل "**الرندي**" نوعا آخر من التشبيه في قوله[3]:

قَوَاعِدُ كُنَّ أَرْكَانَ البِلَادِ فَمَا عَسَى البَقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقَى أَرْكَان

نجد في هذا البيت نوع آخر من التشبيه وهو التشبيه البليغ، حيث شبه المدن التي سقطت بأركان بلاد الأندلس، فكما أن أركان أي شيء هي أُسسه، ف كذلك هذه المدن هي الأعمدة والأساس بالنسبة لبلاد الأندلس، فإذا سقطت الأركان سقط كل شيء بعدها.

أما في قوله[4]:

يَا رُبَ أُمٍّ وَطِفْلٍ حِيلَ بَيْنَهُمَا كَمَا تفَرَّقَ أَرْوَاحُ وَأَبْدانُ

في هذا البيت يشبه فرقة الأم عن طفلها، بفرقة الروح عن الجسد، فبُعد الطفل عن

---

[1]- أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج 4، ص: 488.

[2]- المرجع نفسه، ص: 488.

[3]- المرجع نفسه، ص: 487.

[4]- المرجع نفسه، ص : 488.

أمـه وبعدها عنـه موت لكليهما، وخـص الطفـل دون الولـد أو الابن، لشدة ارتباطه بأمه كمـا يرتبـط الجسـد بالـروح، فيكـون الجـزع أشـد والحـزن علـى الفـراق أقـوى.

***الاستعـــــــارة:**

هي من أبواب البـ يان كما تعتبر من أدوات رسم الصورة الشعرية ؛ فالاستعارة في اصطلاح البيانيين « **هي من محاسن الكلام إذا وقعت موقع ها، و نزلت موضعها** »[1] فالاستعارة ما هي إلا تشبيه حذف أحـد طرفيه مع الإبقاء على قرينـة تـدل عليه.

قال "**عبد القادر الجرجاني**":« **اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروفٌ تدلّ الشواهد على أنّه اختص به حين وُضعَ، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية** »[2]

إذ يَعتبر البلاغيون هذا النوع من أجمل الصور البيانية لما فيه من التشخيص والتجسيد وبث الحياة والحركة في الجمادات وتصوير المعنويات في صورة حيـة.

الاستعارة نوعان: **استعارة تصريحية** وهي: التي يصرح فيها بلفظ المشبه به. أما **الاستعارة المكنية** هي ما حُذف فيها المشبه به وعبّر عنه بلازمة من لوازمـه.

فوظف "**أبو البقاء الرندي**" الاستعارة في نونيته من أجل تصوير أحاسيسه ومشاعره المُلتهبة تجاه ما يجري في ديار الإسلام ببلاد الأندلس .

وذلك في قوله[3]:

يُمَزِّقُ الدَّهْرُ حَتْمًا كُلَّ سَابِغَـــةٍ إِذَا نَبَتَتْ مُشْرَفِيَـاتُ وَ خُـرْصَانُ

ذكر الشاعر في هذا البيت المشبه (الدهر) وحذف المشبه به(الإ نسان) وترك لازمًا من لوازمه (التمزيق)، فقد شخص الدهر وجعله مفترسا يمزق كل نعمٍ أُنعم بها على الإنسان وذلك على سبيل الاستعارة المكنية.

---

[1]– ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج1، ص: 269.

[2]– عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تح: محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط1، 1991 ص: 60.

[3]– أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج 4، ص : 487.

ونجـد الاستعارة كذلـك فـي قولـه[1]:

دَهَــى الجَزِيــرَةَ أَمــرٌ لَا عَزَاءَ لَهُ هَــوَى لَـهُ أُحُدٌ وَ انْهَـدَّ ثَهْــلَانُ

حيث شبه الأندلس بإنسان تساقطت وهوت عليه المصائب، ويرفض قبول العزاء، فحذف المشبه بـه (الإنسان) وأبقى على قرينة تدل عليه وهي (العزاء) وذلك على سبيل الاستعـارة المكنيـة.

***الكنـايـــــة:**

هي أحد الصور البيانية؛ وهي أن تتكلم بشيء وتريد غيره، فهي إيماء إلى المعنى وتلميح؛ أو هي مخاطبة ذكاء المتلقي فلا يذكر اللفظ الموضوع للمعنى المقصود ولكن يلجأ إلى مرادفه ليجعله دليلَا عليه [2] فالكناية إذن هي لفظ « **أريد به لفظ غير معناه الذي وضع له** » [3]، والمراد بالكناية أن يُثبت المتكلم معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معن ى مرادف لـه في الوجود فيومئ به إليـه ويجعلـه دليلا عليـه.

يعد "**أبو البقاء**" واحد من الذين وظفوا الكناية أيضا في قصائدهم نحو قوله[4]:

تِلْكَ المُصِيبةُ أَنْسَتْ مَا تَقَدُمِهــا وَمَــا لَهَا مَـعَ طُولِ الدَّهْــر نِسْيَانُ

تأتي الكناية في قوله: (تلك المصيبة أنست ما تقدمها) لتكشف عن قسوة هذه المصيبة وشدة وقعها على النفس لدرجة أنها قد أنست ما تقدمها من مصائب أخرى.

أمــا فـي قولـه[5]:

أَيْنَ المُلُوكُ ذُوو التِّيجَانِ مِنْ يَمَنٍ وَأَيْــنَ مِنْهُـمْ أَكَالِيــلُ وَتِيجَــانُ

---

[1]– المرجع نفسه، ص : 488.

[2]– محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب: علوم البلاغة (البديع، والبيان، والمعنى)، ص: 241.

[3]– السيد أحمد الهاشمي:جواهر البلاغة ، ص: 271.

[4]– أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب، مج 4، ص :488.

[5]– المرجع نفسه، ص : 488.

الكناية في هذا البيت عن موصوف في قوله(ذوو التيجان) فالشاعر يصف لنا الملوك بأن لهم تيجان، وهذه التيجان تكون خاصة بهم فقط .

كما نجد الكناية أيضا في قوله[1]:

وَحَامِلِينَ سُيُوفَ الهِنْدِ مُرْهَفَةٌ كَأَنَهَا فِي ظَلَامِ النَقْعِ نِيرَانُ

الكناية في قوله: (وَحَامِلِينَ سُيُوفَ الهِنْدِ مُرْهَفَةٌ)، فهي كناية عن فهمهم و وعيهم وحسن تدريبهم على تلك السيوف واستعمالها.

أما في قوله[2]:

هِيَ الأُمُورُ كَمَا شَاهَدَتْهَا دُوَلٌ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ

كناية عن تغيُّر الحال وعدم ثبات الحياة على وتيرة واحدة، فأراد الشاعر أن يلفت انتباه السامع أو المتلقي إلى هذا الأمر.

***المجاز:**

من أحسن الوسائل البيانية التي تهدي إليها الطبيعة، لإيضاح المعنى، إذ به يخرج مُتَّصِفًا بصفة حسية[3].

شغفت العرب باستعمال المجاز وذلك لميلها إلى الاتساع في الكلام، وإلى الدلالة على كثرة معاني الألفاظ، ولما فيه من الدّقة في التعبير؛ فالمجاز إذن هو« **اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة: مع قرينة مَانِعَةٍ من إرادةِ المعنى الوضعي** »[4].

---

[1]- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب، مج 4، ص : 488.

[2]- المرجع نفسه، ص : 487.

[3]- السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة ، ص: 241.

[4]- المرجع نفسه، ص : 241 .

لقد استخـدم "**أبو البقاء الرندي**" المجاز في قولـه[1]:

أَلَا نُفُـــوسُ أبيَّـــاتٌ لهـــا هِـــمَمٌ أَمَا عَلَى الخَيْـرِ أَنْصَارٌ وَأَعْـوَانُ

المجاز في قوله(أَلَا نُفُوسُ أبيَّاتٌ لها هِمَمٌ) فالنفوس ليست وحدها أبيّات، بل الإنسان وكله ولكنه عبر بالجزء عن الكل. فالجزء هو (النفس) والكل هي (الإنسان) وهو مجـاز مرسـل.

كمـا نجـد المجاز فـي قولــه[2]:

هِيَ الأُمُورُ كَمَا شَاهَدتْهَا دُوَلٌ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْـهُ أَزْمَـــانُ

المجاز في قول "**الرندي**" (مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ) فقد أسند الفعل (سرّ) إلى (الزمن) والفعل (ساءته) إلى (الأزمان)؛ والزمن ليس فاعلًا للسر ورّ ولا للإساءة، لكن السرور والإساءة واقعان فيه . وفي ذلك مبالغة وتفنن في بناء العبارة، لأن الشاعر أراد أن يعرض المعاني في نسق خيالي، وأسلوب جمالي، لذلك لجأ إلى المجاز المرسل.

لقد وظف "**أبو البقاء الرندي** " في هذه النونية ألوان البديع التي تضفي على القصيدة جرسا موسيقيا يزيد من جمالها ويعزز من دلالات معاناة الشاعر وحزنه، فنجد الشاعر يصور من خلالها حالة اغترابه في أسلوب فني متميز يعبر عن مرارة التجربة ، فأكثر الشاعر من أسلوب الاستفهام والنداء؛ فالاستفهام كان لأخذ العبرة والسؤال عن الأمم السابقة الغابرة، كما أنه يتساءل عن المدن الأندلسية الضائعة حسرة وتيمن بذكرها. وقد شاع أيضا ضرب الخبر الابتدائي في النونية لأن الشاعر يصف أحداثا مروعة لا تخفـــى على أحـد مـن النـــاس.

---

[1]– أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج 4، ص :488.

[2]– المرجع نفسه، ص : 487.

خـــــاتمـــــــة

في الختام يمكن القول إن الاغتراب كموضوع ومصطلح تعرض لكثير من الدراسات والتعريفـات من طرف العلماء والأدباء والنقاد، وهذا ما يعكس مدى أهميته.

فهو موضوع قديم ظهر في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي إلى غاية العصر الأندلسي وهو العصر الذي ظهر فيه شاعرنا ، وقد عانى منه نتيجة لتدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية التي دفعت به إلى الابتعاد والاغتراب عن هـذا الواقع بكـل ما فيـه.

من خلال هذه الدراسة تم التوصل إلى بعض الملاحظات والنتائج الأساسية حول موضوع الاغتراب في نونية "**أبي البقاء**"، يمكن إحصاؤها في النقـاط التاليـة:

_ إن الاغتراب ظاهرة إنسانية متشابكة تتداخل فيها جميع الظروف المحيطة بالفرد سواء النفسية، التي تعود في الأساس إلى الكيفية التي نشأ بها الفرد أو الثقافية والحضارية المتمثلة في جملة من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

_ إن الشعر أكثر أنواع الأدب صلة بظاهرة الاغتراب ، ولعل ذلك يعود للطبيعة النفسية للشعراء فهم أكثر الناس رفضا للواقع، ولقد انعكست مشاعر الاغتراب في الشعر العربي –قديمه وحديثه– بأبعاده المختلفة وهو ما يؤكد أنها لصيقة بالوجود الإنساني وملازمـة لـه.

_ أما فيما يخص " **أبو البقاء الرندي**" فهو أديب وشاعر وناقد، صاحب ثقافة عالية وخبرة وتجربة ، عايش محنة الأندلس الكبرى، وشهد سقوط مدنها في أيـدي النصـارى.

_ يعد موضوع الاغتراب عند " **أبي البقاء**" تعبيرا عن تجربة شعورية وواقعية صادقة قد عاشها الشاعر، وأدت إلى ذلك ظروف موضوعية مرتبطة بصراعات ومشاكل عصره فظهـر تأثيـرها فـي شعـره.

_ إن الاغتراب في الشعر الأندلسي كان في مجمله تعبيرا عن عواطف صادقة استوجبت لغة سهلة وأسلوبا بسيطا، وألفاظا متداولة بعيدة عن الغرابة ، كما هو ظاهر من خلال

النونية التي وردت في البحث ؛ إذ نجد الأفكار واضحة خالية من الغموض والعبارات منتقاة من قبل الشاعر الذي تميّز بالفصاحة والذوق السليم وذلك لاهتمام شعراء الأندل س بالمعاني لإيصال معاناة الاغتراب في أسلوب فني بسيـط وأنيــق خـال من التعقـيد والإبهــام.

_ إن الأديب مغترب عن زمانه ومكانه ومجتمعه يسعى من خلال ذلك إلى صياغة تجربته النفسية وتشكيلها كتجربة إبداعية خلاقة أو مؤثرة، ولو لا ذلك الاغتراب وذلك التفرد لعاد الأدب كلاماً من كلام وبالتالي أراد "**الرندي**" من خلال هذه القصيدة أن تكون رسالة إلى أبناء عصره ولكل المسلمين في أي زمــان ومكــان.

_ إن أقسى تجربة عاناها الشاعر هي تجربة الاغتراب الملونة بألوان الشقاء والبعد والقلق موزعة بين اغتراب مكاني ،اغتراب زماني ،اغتراب نفسي وآخر ديني .
ولكي لا يتحول الاغتراب إلى جحيم لا يطاق فقد سعى " **أبو البقاء الرندي** " إلى قهره أو محاولة تجاوزه أو حتى التخفيف من آثاره من خلال عدة طرائق تمثلت في : الاعتراف استعادة الماضي ، السخرية والوعظ وأحيانا أخرى عن طريق الانسحـاب و التمــرد .

_ أما المستوى الفني والجمالي لنونية " **أبي البقاء الرندي**" فقد وظف فيها ألوان البديع التي تضفي على القصيدة جرسا موسيقيا يزيد من جمالها ويعزز من دلالات معاناة الشاعر وحزنه، فنجد الشاعر يصور من خلالها حالة اغترابه في أسلوب فني متميز يعبر عن مرارة التجربة ، فأكثر الشاعر من أسلوب الاستفها م والنداء؛ فالاستفهام كان لأخذ العبرة والسؤال عن الأمم السابقة الغابرة، كما أنه يتساءل عن المدن الأندلسية الضائعة حسرة وتيمنا بذكرها. وقد شاع أيضا ضرب الخبر الابتدائي في النونية لأن الشاعر يصف أحداثا مروعة لا تخفــى على أحــد مــن النــاس.

_ أما في الجانب الإيقاعي فقد وُفق الشاعر في اختيار الأصوات الملائمة لجو الحزن والحسرة التي ألمت بالمسلمين في الأندلس، و مما زاد من بلاغة التصوير لهذه المأساة

حرف الروي النون، الذي يبعث في النفس نغما شجيا يوحي بمرارة هذه المصيبة، كما تدل على نفسيــة متأزمــة إزاء ما يعانــي منـــه.

_ إن الشاعر درج على ما سبقه من الشعراء في اختياره لبحر البسيط لملائمته بينه وبين الحالات النفسية المختلفة التي يعيشها الشاعر مما يدل على براعة الشاعر اللغوية وحسه المرهف.

وأخيرا نأمل أن نكون قد لامسنا ظاهرة الاغتراب في نونية " **أبي البقاء الرندي**" ، فما كتبناه عن هذا الموضوع مما لا يرقى إليه النقصان أو يتعالى على النقد بل هو نظرة إنسان قرأ وحلل وكتب؛ فيمكن أن تُبنى على هذا البحث أبحاثا أخرى كثيرة، ويمكن أن يُعتبر ما كتبناه لبنة في كتابات الاغتراب عن شخصية أندلسية طالتها هذه الظاهرة ويمكن أن يُعتبر هذا البحث نافذة صغيرة فتحناها في عالم الاغتراب عند " **أبي البقاء الرندي**" ليُتوصل بها إلى دراسات أعمق وأدق في عالم الرجل، ولا يزال الموضوع في رأينا يحتاج إلى بحث أعمـق وأوســع.

القصيـــــــــدة:

يقـول أبـو البقـاء الرنـــدي[1]:

لِكُلِ شَيْءٍ إِذَا مَا تَـمَ نُقْصَـانُ ... فَـلَا يُغَرُّ بِطِيـب العَيْشِ إِنْسـاَنُ

هِيَ الأُمُورُ كَمَا شَاهَدَتْهَا دُوَلٌ ... مَنْ سَـرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْـهُ أَزْمَـــانُ

وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تُبْقِي عَلَى أَحَـدٍ ... وَلَا يَدُومُ عَلَى حَـالٍ لَهَا شَـــانُ

يُمَزِّقُ الدَّهْرُ حَتْمًا كُلَّ سَابِغَـةٍ ... إِذَا نَبَّتَـتْ مُشْرَفِيَـاتُ وَخُـرْصَـانُ

وَيَنْتَضِي كُلُّ سَيْفٍ للفَنَـاءِ وَلَـوْ ... كَانَ ابْـنَ ذِي يَزَنٍ وَالغِمْدُ غِمْدَانُ

أَيْنَ المُلُوكُ ذُوو التِّيجَانِ مِنْ يَمَنٍ ... وَأَيْـــنَ مِنْهُـمْ أَكَالِيـــلُ وَتِيجَـــانُ

وَأَيْـنَ مَا شَـادَهُ شَدَّادُ فِـــي إِرَم ... وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الفُرْسِ سَاسَانُ

وَأَيْـنَ مَا حَازَهُ قَـارُونُ مِنْ ذَهَـبٍ ... وَأَيْـنَ عَـادٌ وَشَـــدَّادُ وَقَحْطَـــــانُ

أَتَى عَلَى الكُلِّ أَمْرٌ لَا مَـرَدَّ لَـهُ ... حَتَى قَضَوا فَكَأَنَّ القَوْمَ مَا كَانُـوا

وصَارَ مَا كانَ مِنْ مَلِكٍ و مُلْـكٍ ... كَمَا حَكَى عَنْ خَيَالِ الطَّيْفِ وَسِنَانُ

دَارَ الزَّمَـانِ عَلَـى دَارَا وَقَاتِلُـهُ ... وأَمَّ كِسْـرَى فمـــا آواه إيـــوانُ.

كأنما الصَّعْبُ لَمْ يَسْهَل لَهُ سَبـبٌ ... يَـوْمًا وَلا مَلِـكَ الدُّنْيَـا سُلَيْمـانُ

فَجَائِـعُ الدَّهْـرِ أَنْـوَاعٌ مُنوعـــة ... وَلِلزَّمَـانِ مَسَـــرَّاتٌ وَأَحْـــــزَانُ

وَلِلْحَـــوَادِثِ سُلْـــوَانُ يُسَهِّلُـــهَا ... وَمَـــا لِمَـا حَـلَّ بِالإِسْلَامِ سُلْـوَانُ

دَهَـى الجَزِيـرَةَ أَمْـرٌ لَا عَزَاءَ لَهُ ... هَـــوَى لَـــهُ أُحُـدٌ وَ انْهَـــدَّ ثَهْـلَانُ

أَصَابَهَا العَيْنُ فِي الإسلام فَامْتَحَنَتْ ... حَتَى خَلَتْ مِنْـهُ أَقْطَـــارُ وَبُلْـــدَانُ

---

[1] – أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب ، مج4، ص: 487.

تم: اكتمال الشيء وتمامه. يغر: من الغرور، الإعجاب بالشيء والانبهار به، الدّار: الدنيا، شان: الحال. سابغة: الدروع. مشرفيات: السيوف، أكاليل: ما يضعه الملوك على رؤوسهم. عاد، شداد، قحطان: أمم سابقة وبائدة . إيوان: قاعة مسقوفة ب 3 جدران والواجهة مفتوحة. سلوان صاحب المصيبة، دهى: أصابها، أحد:جبل بالمدينة المنورة. ثهلان: جبل نبجد .

فَاسْأَلْ بَلَنْسِيَةَ مَا شَـــأْنُ مُرْسِيَـــة ... وَأَيـــنَ شَـــاطِبَـــةُ أَمْ أَيْـــنَ جَيَّـــانُ

وَأَيْـــنَ قُرْطُبَـــةُ دَارُ العُلُومِ، فَكَـــمْ ... مِـــنْ عَالِـــمٍ قَـــدْ سَمَـــا فِيهَا لَهُ شُـــانُ

وَأَيْنَ حِمْصُ وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نُـــزَهٍ ... وَنَهْرُهَـــا العَـــذْبُ فَيَّـــاضٌ وَمَـــلأْنُ

قَوَاعِـــد كُـــنَّ أَرْكَـــانَ البِلَادِ فَمَـــا ... عَسَـــى البَقَـــاءُ إِذَا لَـــمْ تَبْـــقَ أَرْكَانُ.

تَبْكِي الحَنِيفِيَّةُ البَيْضَاءُ مِـــنْ أَسَفٍ ... كَمَـــا بَكَـــى لِفِـــرَاقِ الإِلْـــفِ هَيْمَـــانُ

عَلَى دِيَـــارٍ مِـــنَ الإِسْـــلَامِ خَالِيَـــة ... قَـــدْ أَقْفَـــرَتْ وَلَهَـــا بِالكُفْـــرِ عُمْـــرَانُ

حَيْثُ المَسَاجِدُ صَارَتْ كَنَائِسُ مَـا ... فِيهِـــــنَّ إِلَا نَوَاقِيـــــسُ وَصُلْبَـــــانُ

حَتَى المَحَارِيبُ تَبْكِي وَهِيَ جَامِدَةُ ... حَتَـــى المَنَابِـــرُ تُرْثِـــي وَهِـــيَ عِيدَانُ

يَا غَافِلاً وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَـــةٌ ... إِنْ كُنْتَ فِـــي سِنَـــةٍ فَالدَهْـــرُ يَقْظَـــانُ

وَمَاشِيًـــا مَرِحًـــا يُلْهِيـــهِ مَوْطِنُـــهُ ... أَبَعْـــدَ حِمْـــصٍ تَغَـــرُّ المَـــرْءُ أَوْطَـــانُ

تِلْكَ المُصِيبةُ أَنْسَـــتْ مَا تَقَدَمِهـــا ... وَمَـــا لَهَا مَـــعَ طُولِ الدَّهْـــرِ نِسْيَـــانُ

يَـا رَاكِبِينَ عِتَـــاقَ الخَيْـلِ ضامِـرة ... كَأَنَهَـــا فِي مَجَـــالِ السَبْـــقِ عُقْبَـــانُ

وَحَامِلِيـــنَ سُيُـــوفَ الهِنْـــدِ مُرْهَفَـةٌ ... كَأَنَهَـــا فِـــي ظَـــلَامِ النَقْـــعِ نِيـــرَانُ

وَرَاتِعِـــينَ وَرَاءَ البَحْرِ فِـــي دَعَـــةٍ ... لَهُـــمْ بِأَوْطَانِهِـــمْ عِـــزٌّ وَسُلْطَـــــانُ

أَعِنْدَكُـــمْ نَبَـأٌ مِنْ أَهْـلِ أَنْدَلُـــسٍ ... فَقَـدْ سَـرَى بِحَدِيْـثُ القَـومُ رُكْبَـــانُ

كَمْ يَسْتَغِيثُ بِنَا المُسْتَضْعَفُونَ وَهُمْ ... قَتْلَـــى وَأَسْرَى فمـــا يَهْتَـزُ إِنْسَـــانُ

ماذَا التَقَاطُعُ فِـي الإِسْلَامِ بَيْنَـكُمْ ... وَأَنْتُـــمْ يَا عِبَـــادَ اللهِ إِخْـــــوَانُ

أَلَا نُفُـــوسٌ أَبِيَّـــاتٌ لهـــا هِـــمَمٌ ... أَمَا عَلَـى الخَيْـرِ أَنْصَـارٌ وَأَعْـــوَانُ

يَـــا مَـــنْ لِذِلَةِ قَوْمٍ بَعْـــدَ عِـــزِّهِمْ ... أَحـــالَ حَالُـــهُمْ كُفْـــرٌ وَطغيـــان

بِالأَمْسِ كَانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِـهِمْ ... وَاليَـوْمَ هُـمْ فِـي بِـلَادِ الكُفْـرِ عُبْـــدانُ

. بلنسية، مريسة، شاطبة، جيان، قرطبة: أسماء لمدن أندلسية. الحنيفية: أحد المذاهب الإسلامية، وهي ملة إبراهيم. النواقيس: مضارب النصارى للإعلان عن دخول وقت الصلاة لديهم. الصلبان: م.صليب، وهي الخشبة التي صُلِبَ عليها عيسى عليه السلام. دعة: الاطمئنان .

فَلَـوْ تَرَاهُمْ حَيَـارَى لَا دَلِيلَ لَـهُمْ عَلَيْـهِمْ مِـنْ ثِيَـابِ الـذُّلِ أَلْـوان

وَلَـوْ رَأَيْـتَ بُكَاهُمْ عِنْـدَ بَيْعِهِمْ لِهَالِكِ الأَمْرِ وَاسْتَهْوَتْـكَ أَحْـزَانُ

يَا رُبَ أمٍّ وَطِفْـلٍ حِيـلِ بَيْنَـهُمَا كَمَـا تفـرَّقَ أَرْوَاحُ وَأَبْـــــدانُ

وَطِفْلَةٍ مِثْلَ حُسْنِ الشَّمْسِ إِذْ طَلَعَتْ كَأَنَّمَـا هِـيَ يَاقُـوتُ وَمُرْجَـانُ

يَقُودُهَـا العِلْـجُ لِلْمَكْرُوهِ مُكْرَهَـةً وَالعَيْـنُ بَاكِيَـةٌ وَالقَلْـبُ حَي ـرْانُ[·]

لِمِثْلِ هَذَا يُذَابُ القلبُ مِـنْ كَمَـدٍ إِنْ كَانَ فِي القَلْـبِ إِسْلَامُ وإيمَـانُ

بعد أن يفرغ القارئ من إنشاد هذه القصيدة تنتابه هالة من الأحاسيس الحزينة والمشاعر الكئيبة، حتى يشعر أنه ماثل أمام ذلك المشهد المروّع.

وقد اشتمل النص على مفاصل عدة متكاملة المعنى محكمة البناء، حيث تبدأ المقدمة بمطلع، وهو البيت الأول للقصيدة يجب أن يكون دالًا على مقصد الشاعر وأن يختار لفظه ومعناه، بأن يجري مجرى المثل[1] وأن يكون مُصرعًا مع اختيار كلمات المصارع الأول والثاني.

ففي الأبيات الخمسة الأولى استهل الشاعر قصيدته بحكمة عامة مفادها أن النقصان سنة الخلق في كل شيء عند تمامه، كما أرسل الشاعر حِكَمًا مُطلقةً في باقي الأبيات استلهمها من حوادث الدهر، ثم يتوصل إلى نتيجة مفادها أن كل شيء يفنى وينتهي وهذا ما تدل عليه العبارة (وينت ضري كل سيف للفناء)؛ وهو استهلال عام حتى يمهد إل ـى سقـوط الأندلس وحتى يخفف من هول الفاجعة على القارئ ويجعله يُتابع باقي أبيات القصيـدة.

لقد أجاد الشاعر حسن التخلص و الانتقال من موضوع الحكمة إلى الأبيات التي ساق فيها أحداثا تاريخية، و حقق فكرة الترابط العضوي بين أبياته إذ ينتقل

· العلج: قيل هو الرجل من كفار العجم، وقيل هو الحمار.

[1] -محمد مفتاح: في سيماء الشعر القديم- دراسة نظرية تطبيقية- دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، دط ، 1989 ص: 23.

من فكرة إلى أخرى دون أن يقطع حبل أفكار القارئ ، كل هذا في لغة سهلة يغلب عليها الصدق و نبرة الأسى و الابتعاد عن الصنعة و المبالغة .

ففـي الأبيات من 6 إلى 12 يتحول الشاعر إلى سرد التاريخ؛ سردًا استفهاميًا تعجبيًا ليعزّز النتيجة ويحوّلها إلى سلسلة من الأسئلة الواضحة الإجابة المؤكدة الحقيقة؛ ألا وهي حقيقة الفناء التي كتبها الخالق سبحانه وتعالى على جميع المخلوقات .

لقد رحل الشاعر في هذه الأبيات مع طيف التاريخ باحثا عن زعمائه الهالكين فما وجدوا إلا رسوماً توحي بالوحشة والحزن منقوشة بفسيفساء الفناء ، ثم ينتقل الشاعر بطريقة ذكية إلى وصف ما حل بمدن الأندلس التي سقطت في يد الأعداء بعد أن أقر بفجائع الدهر المختلفة.

أما في الأبيات من 15 إلى 24 يأخذ الشاعر في ذكر مناقب ومميزات ومحاسن المدن التي ضاعت، فيجسد الشاعر لنا مشهد الجزيرة بأسلوب خبري تقريري يكشف عن جراح ودموع ظلت طول الدهر.

فسقوط الأندلس كان بتقاعس أهلها وتربص الكفار بهم، فلا ينفع العزاء بعد أن خلت من الإسلام سلاحهم الوحيد الذي يذودون به عنها.

بينما الأبيات من 25 إلى 34 يأتي دور الوعظ والإرشاد في ما يجب فعله، حيث يظهر "**الرندي**" واعظًا متدبرًا في هذه الأحداث، موجها المسلمين إلى أخذ العبرة والعظة ويحذّرهم أن يغتروا بما هم فيه من أمن واستقرارا ممثلًا لهم بما حلَّ بمدن الأندلس، وقبلها من مماليك قوية عدةٍ فلا يجد إلا الغافلين لاهية قلوبهم في ملذات الدنيا ناسينَ تربصَّ وفطنة الدهر والأعداء بهم، فلا تتحرك نفوسهم هذه المرة ولا ينصرون إخوتهم في الأندلس؛ لأن التقاطع بينهـــم أمـات فيهم النخـــوة.

أما في الأبيات الأخيرة من 35 إلى 42 يصل الشاعر إلى الوقوف عند أسباب نكسة الأندلس التي ذاق أهلها مرارة الذلِّ بعد العِـــزِّ.

فيزداد الشاعر حسرة ويأسًا في البيت الأخير، مكتوٍ بنيران الخيبة وانتصار الكفر الذي حول الأندلس إلى اسبانيا، وذلك كله نتيجة تفريط أمراء الأندلس في دينهم الإسلامي الذي دخلوا به الجزيـــرة الايبيرية.

لقد استطاع الشاعر الأندلس ي "**أبو البقاء الرندي** " أن ينقل إلينا تجربته كاملة في إيقاع شجي، ذي تأثير عجيب، لأن قصيدته تثير الشجى في نفس كل من يقرؤها أو يسمعها، وهذا دليل واضح أن "**أبا البقاء**" بكى صادقًا وعميقًا لما حصل للأندلس.

والجدير بالذكر أن "**أبا البقاء الرندي** " « **لم ينشد هذه المرثية في بلاط ملك ولم يتوجه بها إلى أمير، بل خاطب فيها الأندلسيين من قومه، والمسلمين أنى وجدوا** »[1] والدليل على ذلك أن عباراته سهلــة صادقة في الوقت نفســه.

لقد تداول الناس هذه المرثية في الأندلس وإفريقيا على السّواء، فقد وجدوا فيها صدى لواقعهم فأضافوا إليها مع الزمن زيادات فيها كذكر "غرناطة" و "بَسطَة" وغيرها من المدن التي سقطت بعد موت "**صالح بن شريف الرندي**".

[1] – الطاهر أحمد مكي : دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص: 317.

التعريف بالشاعر أبي البقاء الرندي:

حياة أبي البقاء الرندي:

* نسبـــــه:

هو صالح بن أبي الحسن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم ابن علي ابن شريف يُكنى بأبي الطيب ،وقد ذكر بعض المؤرخون أيضا أنّ كنيته "أبو البقاء "[1] وهي الأشهر ولد في محرم 601هـ الموافق لـ: سبتمبر 1204م وتوفي عام 684هـ الموافق لـ: 1285م ؛ أي أنه عاش تقريبًا اثنين وثمانين عامًا [2]، أدرك أوائل إمارة "**محمد الثاني**" . أصله من قبيلة (**نفزة**) البربرية، أما مدينته (**رندة**) فهي التي ينسب لها كما يدل لقبه على ذلك ،هي مدينة قديمة على قمة جبل مرتفع، بها آثار كثيرة ويشقها نهر ينسب إليها، كما تحيـط بها الوديـان من كـل جانـب[3].

حياة "**أبي البقاء الرندي**" أتت في كتب التاريخ مجملة غامضة، فلا نعرف شيئا عن أسرته ، أبيه وأسلافه من قبل، ولا عن بنيه وزوجه، فالحنان العائلي كان غائب في شعـره تمـامًـا[4].

لم يكن الشاعر بمعزل عن أحداث عصره فقد عاش وعاصر أحداثًا جسامًا مرت بها الأندلس والمغرب، فحياته لم تكن سهلة ميسرة، وإنَّا تعاوَرتها لحظات سعيدة وأخرى حزينة، وتـوارد عليـه النجاح والإخفـاق[5].

لقد عاش "**الرندي**" في عصر الفتنة الكبرى في أواسط القرن السابع هجري، والتي تمخضت

---

[1]–أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج4، ص: 486.

[2]– الطاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص:283.

[3]– المرجع نفسه، ص: 283.

[4]– المرجع نفسه، ص: 284.

[5]– المرجع نفسه، ص: 284.

عن قيام مملكة غرناطة وسقوط معظم القواعد الأندلسية الكبرى في يد النصارى، فلقد وصف بخـاتمة أدبـاء الأنـدلس.

***شيـــــوخـــــه:**

أ- أبو الحسن يزيد: تلقى "**أبو البقاء**" في أوائل أيامه أوليات العلم من قراءة وخط وحفظ لبعض أجـزاء القـرآن عــن والـده أبـي الحــسن.

ب-**أبو الحسن اللخمي الإشبيلي المعروف بالدّباج** : درس "**أبو البقاء**" على يد الدّبا ج في صبله الذي أمضى شطرًا منه في "اشبيليا"[1].

ج-محمد بن عبد الرحمان ابن الفخار الشريشي: تلقى "**أبو البقاء**" العلم على يديه بعد أن أقام "بمالقــة" زمنا فـدرس فيـه عنده.

د-أبو الحسن ابن زرقون : تلقى "**أبو البقاء**" العلم أيضا في غرناطة على يديه كما قرأ على "**ابن الزبير**" صاحب كتاب (الصلة)، وابـن الجد[2].

***مـؤلفـــاتـــــه:**

لم يكن "**أبو البقاء الرندي**" شاعرًا فحسب، وإن اشتهر بهذه الصفة، وإنّما أسهم في جوانب أخرى من ثقافة عصره، « **كان بارعًا في النثر والنظم معًا وله مقامات بديعية في أغراض شتىً** »[3]»، وله كتاب كبير سمّاه "روضة الأنس، ونزهة النفس "، كتبه برسم السلطان "**محمد بن يوسف بن الأحمر**" مؤسس مملكة غرناطة [4] وقد ذهب "**الطاهر أحمد مكي**" إلى أنه من كتب الإمتاع والمؤانسة. أما كتابه الثاني فهو "الوافي في نظم القوافي " وهو كتاب يتحدث فيه عن الشعر وأغراضه، ومحاسنه وعيوبه والشعراء وطبقاتهم بالإضافة

---

[1]-الطاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص:284 .

[2]- المرجع نفسه، ص : 284.

[3]- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس- العصر الرابع- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ص: 457.

[4]- الطاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص:293.

إلى تأليفه جزءًا على حديث جبريل وقد صنف هذا الكتاب في الفرائض وأعمالها مختصرًا نافعًا[1]، وهو مجهول المكـان إلى يومنـا هذا.

***شعـــــــــره:**

كان "**أبو البقاء الرندي** " من المقربين إلى السلطان "**محمد بن الأحمر**" وكان يُطرب لشعره، ومن أشهر قصائده في مدح السلطان قصيدته التي مطلعها[2]:

سرَى وَالحُبُّ أَمْرٌ لَا يُرَامُ وقَدْ أَغْرَى بِهِ الشُؤْنَ وَالغَرام

اشتهر السلطان "**محمد بن الأحمر**" بحمايته للعلم والأدب، وكانت له أيام خاصة يستقبل فيها الشعراء وينشدونـــه قصائـــــدهم.

كان "**أبو البقاء** " كما قال عنه "**ابن الزبير**" شاعرًا مُجيدًا في المدح والغزل [3]فشعره سهل المأخذ عذب اللفظ، رائق المعنى، غير مؤثر للجزالة.

فنجد مدحه لسلطان "**محمد الغالب**" الذي يقـول فيه[4]:

نأيتُ عَنه اضطِرارًا ثُم عُدتُ لـــهُ كَمَا اقتَضَى المُبْرِمَانِ الحلّ والسَّفر

فإنْ قَضَى اللهُ أَنْ يُقْضَى بِهِ أَمَلِي فَحَسْبُ المُحْسِبَانِ الظِّـلَّ وَالثَمَـــر

قال هذه الأبيات بعدما ابتعد عن البلاط زمناً، ثم عادت الأمور إلى طبيعتها، واتصل مديحه مـن جـديد بالسلطـان.

لقد عانى "**أبو البقاء** " من الاغتراب كثيرًا إذ نلمح هذا واضحًا في شعره، حيث نجده يحن إلى صباه، وإلى الشباب على السواء فيقول[5]:

وَمِمَّا هَاجَ أَشْوَاقي حَديـــــث جَرَى فَجَرَى له الدَّمعُ السَكُوبُ

---

[1]– لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ص: 360.

[2]– محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس _ العصر الرابع _نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ص: 457.

[3] – لسان الدين الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة، ص: 360.

[4]– الطاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص:284.

[5]– المرجع نفسه، ص: 285.

ذَكَرْتُ به الشبابَ فَشَقَّ قَلْبِي أَلَمْ تَــرَ كَيْـفَ تَنْشَقُّ القلـــــوبُ

عَلَى زَمَنِ الصِبَّا فليبكِ مثلي فَمَـــا زمـنُ الِصبَّا إِلَّا عجيـــبُ

جَهَلَتْ شيبَتي حتــى تولَّـــتْ وَقَدْرُ الشيء يُعْـرِفُ إذ يغيـــبُ

للصبا والشباب أثرهما في نفس الشاعر، فقد كان يحن إليهما لدى كان يشعر بالاغتراب وهو في أواخر أيام حياته.

كما يذكر شعوره بالاغتراب في أبيات أخرى حيث نجده يقول[1]:

أَلاَ ذِكْـــرُ الإلهُ بكل خَيـــرٍ بلادًا لاَ يَضِيعُ بها أديـــب

بلادُها مَـاؤُهَا عَـــذْبُ زُلَالٌ وريحُ هَوَائُهَا مِسْكٌ وطيبٌ

بِها قَلْبِي، الذِي قلبِي المُعنَّى يَكَادُ مِنَ الحَنِينِ لَهُ يَـذُوبُ

يتحدث الشاعر هنا عن اغترابه فنجده يحنُّ إلا بلاد لا يضيع بها أريبُ، فطبيعتها ساحرة، وهواؤها نقي طيب، خلف فيها حبهُ وقلبهُ، فطبيعة الأندلس الخلابة تسحر الأدباء بألوانــها الزاهيــة المختلفــة.

كما "**للرندي**" شعر كثير في أغراض متعددة، فوظف البحر والأنهار والجيش والسلاح أما في وصف السيف مثلا فيقول فيه[2]:

وَأَبْيَضُ صِيغَ مِنْ مَاءٍ وَمن لَـهَبٍ على اعتدالٍ فلَم يَخْمُدْ وَلَمْ يَسِل

كما وصف القوس والقلم والسكين، المقص، أما الوَرْدُ فيقول فــيه[3]:

الــوَرْدُ سُلْطَـانُ كُلُّ زَهْرٍ لَــوْ أَنه دَايــم الوُرُود

بعد خدود المِلاَحِ شيء ما أَشْبَه الوَرْدَ بالخُدود

في هذين البيتين يصف "**الرندي**" الورد بأنه سلطان كل الزهور كما يشبهه بالخدود.

---

[1]- الطاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص:286.

[2]– لسان الدين الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة، ص: 368.

[3]–المرجع نفسه، ص: 369.

أما الغزل عند "**أبو البقاء الرندي** " فتدور معانيه حول محاور عديدة؛ منها أن يهجره الحبيب فيطول ليله كأنه سرمد، أو يُقبل عليه فيمضي الليل كأنه في لحظة فيقول في ذلك[1]:

أَطَـالَ لَيْلِـي الكَمـــد فَالدَّهْـرُ عِنْـدِي سَرْمَـدْ

وَمَـــا أَظُـــنُّ أَنَّ لِلَيْـــ ـــلَـــــةِ الهَجْـرِ غَـــدْ

فالشاعر هنا يصف طول الليل بعد أن يهجره الحبيب، حيث صور لنا حاله، وأشواقه مُلتهبة وصبــره نافــذ.

تدل هذه النماذج على أن "**الرندي**" نظم شعرا في أغلب الموضوعات، ولكنه برز بصفة خاصة في المدح والغـزل والوصـف.

نـونيتـــــــه:

نظم "**الرندي**" في الاغتراب قصيدة عدّها "**ابن الخطيب**" من المطولات ،أورد منها واحدا وعشرين بيتا عبر فيها عن الاغتراب و الحزن على فقد الوطن و نلمس ذلك في نونيته المشهورة التي أورد "**المقري التلمساني**" في كتابه "نفح الطيب " اثنين و أربعين بيتا منهـا.

تعد النونية من أروع ما قاله "**أبي البقاء الرندي** " من شعر على الإطلاق لأنها تثير الشجى في نفس كل من يقرأها أو يسمعها، ذلك أن الأحداث الأليمة التي حلت بالمسلمين في الأندلس تفطرت لها القلوب ودمعت لها عين كل من في قلبـه ذرة إيمـــان.

لقد عاشت القصيدة في المؤلفات المغربية التاريخية والأدبية (كالذخيرة السنية) (والبيان المُغرب) ولكنها نالت شُهرتها بفضل "**المقري**"، وقد جنَتْ شهرتها عليها كما قيل فأضيفـت إليها إضافات وحذفت منها أبيـات، وقـد أشار "**المقري**" نفسه

[1]- الطاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، ص:302.

إلى هـذا الموضـــع فقــال: انتهـت القصيــدة ويوجــد بأيـــدي بعـض الناس زيــادات فيها ليســت تقاربـــها في البلاغة[1].

فهذه النونية التي نحن بصدد دراستها، يعود سبب نظمها كما يذكر المؤرخون إلى تلك الأحداث التي فقدت فيها الدولة الإسلامية في الأندلس معظم قواعدها الكبيرة، فأثارت هذه المحن التي توالت على الأندلس في تلك الفترة المظلمة من تاريخها لوعة الشعر والأدب[2]؛ وهي التي نظم فيها شاعر العصر "**أبو البقاء الرندي** " نونيته التي بكى فيها قواعد الإسلام الذاهبة بما يستنهض همم المسلمين لإنجاد الأندلس.

[1]- أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب، مج4، ص:489.

[2]–محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، ص: 49.

قائمة المصادر والمراجع

***القرآن الكريم برواية ورش.**

***أولا المصـــــــادر:**

1/ أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، مج4 ، 1968.

***ثانيـــــا المعاجم والقواميس :**

1/ ابن منظورمحمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب .تح : عبد الله علي الكبير و آخرين ، دار المعارف ، القاهرة مصر ، دط ، دت .

2/ الخليل بن أحمد الفراهيدي :كتاب العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم ال سمرائي مطابع الرسالة، الكويت، ج4، دط ،1980.

3/ المعلم بطرس البستاني: محيط المحيط- قاموس مطول اللغة العربية- مكتبة لبنان بيروت، لبنان، دط، 1987.

4/ جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1984.

5/ جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية ، دار الكتاب العالمي، بيروت، لبنان، ج1 ، د ط، 1994.

6/ الفيروزبادي مجد الدين محمد بن يعقوب: قاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان ط8، 2005.

7/ مصطفى حسيبة : المعجم الفلسفي، دار أسامة، عمّـان، الأردن، ط1، 2009 .

***ثالثا المراجـــع العربية:**

1/أحمد بن محمد بن علي الفيومي: المصباح المنير، مكتبة لبنان،بيروت،لبنان،دط،1987.

2/أحمد علي الفلاحي: الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع هجري(دِراسةٌ اجتماعية نفسية) ، دار غيداء،عمان، الأردن، ط 1،2013 .

3/أحمد محمد الحوفي : المرأة في الشعر الجاهلي، دار الفكر العربي،القاهرة، مصر، ط2 1963.

4/ أحمد هيكل: الأدب الأندلسي–من الفتح حتى سقوط الخلافة– ، دار المعارف ، القاهـرة مصر، دط ،1985 .

5/أمين علي السيد: في علم القافية، مكتبة الزهراء، القاهرة ، مصر، دط، دت.

6/إميل بديع يعقوب : المعجم المفصل في علم العروض والقافية و فنون الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1،1991.

7/ ابن القيم الجوزية : مدارج السالكين، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،ج3، ط7،2003.

8/ ابن قتيبة : الشعر والشعراء ، تح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، مصر ج1، 1982.

9/ ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج س كولان وكوفي بروفينسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ج3، ط3، 1983.

10/ أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ج2، ط5، 1981.

11/ أبو الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم، اعتنى به: أبو قتيبة محمد الفاريابي، دار طيبة، الرياض، د ط ،2006.

12/ أبو الفرج الأصبهاني: أدب الغرباء، نشره صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد بيروت، لبنان، ط1، 1972.

13/ أبو حيّان التوحيدي، الإشارات الإلهية، تح: عبد الرحمن بدوي، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، مصر ،ج1، د ط ،1954.

14/ أبو الفرج قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تح : عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، دط، دت.

15/أبو العباس عبد الله ابن المعتز: كتاب البديع، تح: محمد عبد المنعم عرفان مطرجي مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1 ،2012.

16/ أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : البيان والتبين، تح: عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر ،ج1، ط7، 1998.

17/ الخطيب القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، تح إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، دط، 2003.

18/الإمام علي : في ظلال نهج البلاغة، شرح: محمد جواد مُغنية، دار العلم للملايين بيروت، لبنان، ج3، ط3، 1979.

19/ الطاهر أحمد مكي: دراسات أندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، القاهرة مصر، ط3 ،1987.

20/ السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ضبطه: محمد رضوان مهنا، مكتبة الإيمان ، المنصورة، ط1، 1999.

21 /السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس (من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر ، دط، 1998.

22/ الهادي بو طارن: الاغتراب في الشعر العربي الرومانسي(إيليا أبو ماضي، إبراهيم ناجي، أبي القاسم الشابي) ، دار الكتب الحديث، القاهرة، مصر، دط، 2010.

23/ جار الله محمود بن عمر الزمخشري: الفائق في غريب الحديث، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي و عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج3، ط2، د ت.

24 / جميل حمداوي: المقاربة النقدية الموضوعاتية، مؤسسة المثقف العربي، ط1، 2015.

25/حليم بركات: الاغتراب في الثقافة العربية – متاهات الإنسان بين الحلم والواقع– ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1،2006.

26/ حسن حمّاد: الإنسان المغترب عند إريك فروم، دار الكلمة، القاهرة، مصر دط ، 2005.

27/حبيب مونسي: فلسفة المكان في الشعر العربي–قراءة موضوعاتية جمالية– ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط ،2011.

28 /سعيد علوش: النقد الموضوعاتي، شركة بابل، الرباط، المغرب، ط1، 1989 .

29/ سهير عبد السلام: مفهوم الاغتراب عند هربرت ماركيوز، دار المعرفة الجامعية، مصر د ط، 2003.

30/ صلاح جـرار : قراءات في الشعـر الأندلسي، دار المسيرة، عمـان، ط2،2009.

31/ صلاح فضل: إنتاج الدلالة الأدبية، مؤسسة مختار، القاهرة، مصر، ط1، د ت.

32/ عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب، القاهرة مصر، د ط، 2003.

33/ عبد الرحمان بن عبد الله بن عبد الحكم: فتوح إفريقيا والأندلس، تح: عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، دط، 1964.

34/عبد الرحمان الداخل :الديوان–قصة و تاريخ–تح : سيمون الحايك، مكتبة الكسندرينا ط3، 1982.

35/ عبد الرضا علي: موسيقى الشعر العربي قديمه وحديثه، دار الشروق، عمان، الأردن ط1، 1997.

36/ عبد الرزاق الخشروم : الغربة في الشعر الجاهلي، –دراسة– اتحاد الكتاب العرب دمشق، دط ، 1982.

37/ عبد العزيز عتيق: علم العروض والقافية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان د ط، 1987.

38/ عبد القادر بن عمر البغدادي: خزانة الأ دب ولب لباب لسان العرب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ج8 ،ط4، 2000.

39/ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: محمد رضوان الداية، فايز الداية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2007.

40/عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تح: محمود محمد شاكر،دار ال مدني، جدة ط1،1991.

41/ عمر فروخ : الأدب في المغرب والأندلس _ منذ الفتح الإسلامي إلى آخر عصر ملوك الطوائف_(أواخر القرن الخامس للهجرة الحادي عشر للميلاد)، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ج4، ط2، 1984.

42/ فوزي عيسى: الشعر الأندلسي _في عصر الموحدين _دار الوفاء، الإسكندرية، مصر ط1،2007.

43/كمال أبو ديب: الرؤى المقنعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،دط ،1986 .

44/كريم زكي حسام الدين ،الزمان الدلالي_دراسة لغوية لمفهوم الزمن و ألفاظه في الثقافة العربية_، دار غريب، القاهرة ، مصر، ط2،2001.

45/ لسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ج3 ، ط1، 1975.

46/ محمد أحمد قاسم محي الدين: علوم البلاغة ، (البديع، البيان، والمعاني) ، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان ، ط1، 2003.

47/ محمد بن حسن بن عثمان: المرشد الوافي في العروض والقوافي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 2004 .

48/ محمد حماسة عبد اللطيف: البناء العروضي للقصيدة العربية، دار الشروق، القاهرة مصر، ط1،1999.

49/ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس- العصر الرابع- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين- مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط4، 1997.

50 / محمد عبد الله عنّان : نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ، مطبعة لجنة التآليف و الترجمة ، القاهرة ، مصر، ط3 ، 1966.

51/ محمد مفتاح: في سيماء الشعر القديم- دراسة نظرية تطبيقية- دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1989.

52/محمد راضي جعفر: الاغتراب في الشعر العربي المعاصر(مرحلة الرواد)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط، 1999.

53/ محمد رضوان الداية : في الأدب الأندلسي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1،2000.

54/ محمد زكريا عناني: تاريخ الأدب الأندلسي، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية، مصر دط، 1999.

55/ محمد علي سلطاني: المختار من علوم البلاغة والعروض، دار العصماء ، سوريا ط1، 2008.

56/ محمد الغزالي : فقه السيرة، خرّج أحاديث الكتاب: محمد ناصر الدين الألباني، دار الكتب الحديثة، ط6، 1965.

57/ محمود رجب : الاغتراب_سيرة مصطلح_، دار المعارف، القاهرة، مصر،ط2، 1986.

58/ نبيل راغب: موسوعة الفكر الأدبي، دار غريب، القاهرة، مصر، د ط، 2002.

59/ نسرين محمود الشرادقة: الاغتراب في شعر أمجد ناصر، عالم الكتب الحديث ، عمان الأردن، ط1، 2013.

60/ وهب طنوس: الوطن في الشعر العربي _من الجاهلية إلى نهاية القرن الثاني عشر ميلادي_، ط1، 1976.

61/ ياقوت بن عبد الله الحموي: مجمع البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، مجلد 3 1997.

62/يحي الجبوري: الحنين و الغربة في الشعر العربي _الحنين إلى الأوطان_، دار مجد لاوي عمان ، الأردن ،ط1 ، 2008.

63/ يوسف خليف: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، مصر ط3، 1966.

***رابعا المراجع المترجمة :**

1/اديث كريزويل: تعريف بالمصطلحات الأساسية الواردة في كتاب عصر البنيوية، تر:جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1993،1.

2/ سيغموند فرويد: قلق في الحضارة، تر : جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت، لبنان ط2، 1979.

***خامسا الدواويـــن:**

1/ امرؤ القيس: الديوان، اعتنى به وشرحه : عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط2،2004.

2/ ابن زيدون : الديوان، دراسة وتهذيب: عبد الله سنده، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 1 2005.

3/ أبو نواس : الديوان، تح : أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان د ط، د ت.

4/ أبـو العتاهيـة: الديـوان، بيـروت ، لبنان، دط، 1986.

5/ جـريـر: الديوان، دار صادر، بيرت، لبنان، ط1، 1958.

6/ حسان بن ثابت : الديوان، شرحه: عبد أعلي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط2، 1994.

7/ الحطيئة: الديوان، رواية وشرح : ابن السّكيت، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان ط3، 2003.

8/ الرصافي البلنسي: الديوان، جمعـه: إحسان عباس، دار الشـروق، ط2، 1983.

9 / زهير بن أبي سُلمى: الديوان، اعتنى به وشرحه: حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2005 .

10/ الشنفرى : لامية العرب، شرح ودراسة: عبد الحليم حنفي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1 2008.

11/طرفة بن العبد: الديوان، شرح: الأعلم الشنتمري، تح: درية الخطيب، لطفي الصقال،المؤسسة العربية للدراسات و النشر،بيروت، لبنان، ط2،2000.

12/عنترة بن شداد: الديوان، اعتنى به و شرحه: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت لبنان،ط2،2004.

13/عمرو بن ق ميئة : الديوان، تح: خليل إبراهيم العطية، دار صادر، بيروت، لبنان ط2، 1994 .

14/ كُثير عزة: الديوان، شرحه وجمعه: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1971.

15/ المتلمس الضبعي : الديوان، رواية الأثرم، وأبي عبيدة عن الأصمعي، تح: حسن كامل الصيرفي، جامعة الدول العربية، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، مصر،د ط، 1970.

16/ المتنبـي : الديوان، دار بيـروت، لبنـان، د ط، 1983.

17/ المهلهل بن ربيعة: الديوان، شرح وتقديم: طلال حرب، الدار العالمية، د ط، د ت.

***سادسا المجـــلات:**

1/إحسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، دط ،1978.

2/ أحمد أبو زيد : الاغتراب، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج 10، العدد1، أبريل- مايو- يونيو- ،1979.

3/ مريامة بريش، نادية مصطفى الزقاي يوب: الاغتراب مفهوم ودلالات، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، العدد18، مارس 2015.

4/- زليخة جديدي: الاغتراب، مجلة العلوم الإنسانية، العدد 8 جامعة وادي سوف الجزائر، جوان،2012.

*خامسا مذكـــرا ت االتخـــرج:

1 / جمال مجناح: دلالات المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد 1970، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر 2008.

2/ خميسي بولعراس: الحياة الاجتماعية والثقافية للأندلس في عصر ملوك الطوائف مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الحاج لخضر، باتنة الجزائر، 2007.

3/ مزيان وردية : الاغتراب الاجتماعي وتأثيره في الهوية الوطنية لدى الشباب الجامعي مذكرة نيل شهادة الماستر في علم الاجتماع التربوي، جامعة العقيد آكلي محند ولحاج البويرة،الجزائر، 2012.

4/ يونس كريمة: الاغتراب النفسي وعلاقته بالتكليف الأكاديمي، مذكرة نيل شهادة الماجستير في علم النفس المدرسي، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ،الجزائر ،2012.

فـــهرس المـوضوعـــات

فهـرس الموضوعـات :

مقـدمـة..... 01

مـدخـل..... 04

1 ـ مفهـوم المنهـج الموضوعـاتي..... 04

1 . 1 . لغـــــة..... 04

1 . 2 . اصطـلاحا..... 04

2 ـ النقـد الموضوعـاتي بيـن الغـرب و العـرب 05

2 . 1 . النقـد الموضوعـاتي عنـد الغـرب 05

2 . 2 . النقـد الموضوعـاتي عنـد العـرب 06

3 ـ رواد و أعـلام المنهـج الموضـوعـاتي 06

3 . 1 . عنـد الغـرب..... 06

3 . 2 . عنـد العـرب..... 09

4 ـ الركائـز المنهجيـة الموضوعـاتيـة 10

الفصـــل الأول : الاغتـراب مفهـوم و دلالات .

المبحـــث الأول : الاغتـراب أنواعـه و مظـاهـره .

1 ـ مفهـوم الاغتـــراب..... 12

1 . 1 . لغـــــة..... 12

1. 1 . 1 . في اللغة العربية 12

1. 1 . 2. في اللغة الأجنبية 14

1 . 2 . اصطــلاحا 14

2 ـ سيـــرة المصــطلح 21

ـ الاغتراب من منظور علم النفس و علم الاجتماع 26

أ ـ من منظور علم الاجتماع 26

ب ـ من منظور علم النفس 29

3 ـ أنـــواع الاغتــراب 32

4 ـ مظــاهر الاغتــراب 35

المبحــث الثـــــانـــي : جذور الاغتراب في الشعر العربي القديم .

1 ـ الاغتــراب فـي الشعـر الجاهلـي 39

2 ـ الاغتــراب فـي شعـر عصر الفتوحات الإسلامية 44

3 ـ الاغتــراب فـي الشعـر الأمـــوي 45

4 ـ الاغتــراب فـي الشعـر العبــاسـي 47

5 ـ الاغتــراب فـي الشعـر الأنــدلســي 51

الفصـــل الثـــــانـــي: تجليـات الاغتراب في نونيـة الرنــدي .

المبحــث الأول : عـــوامـل الاغتـــراب 54

1 ـ العامـــل التـــاريخي و الســياسي 54

2 ـ العامـــل الاجتمـــاعي 58

المبحـــث الثـــــانـــــي : أنمـــاط الاغتـــراب فـي القصـــيدة 62

1 ـ الاغتـــراب المكـــــاني 62

2 ـ الاغتـــراب الـزمـــاني 65

3 ـ الاغتـــراب النـــفســـي 69

4 ـ الاغتـــراب الـــديـنـــي 73

المبحـــث الثـــــالـــث : آلـــيات قهـــر الاغتـــراب في القصيـدة 76

1 ـ الاعتـــراف 76

2 ـ استعـــــادة المـــاضـــي 77

3 ـ السخـــريـــة و الـــوعـــظ 79

4 ـ الانســحـــاب 81

5 ـ الـحـزن و عـدم الاستقـــرار 83

6 ـ التمـــــرد 83

الفـــصـــل الثـــــالـــث : الأثـــر الفنـــي للاغتـــراب في نونيـة الرنـــدي

المبحـــث الأول : المستـــــوى الصـوتـــي 86

1 ـ المـــوسيقى الـخارجيـــة 87

1 . 1 . الـــوزن 87

1 . 2 . الـزحـافـات و العـــلل 89

1 . 3 . القـــافيـــة و الـــروي 91

2 . الـمـــوسيقى الـداخليـة 93

2 . 1 . الـمحسنـات البديعيـــة 93

2 . 2 . التـــــكرار 99

المبحـــث الثـــــانـــــي : المستـــــوى التركيبـي 104

1 . الأساليـــب الخبريـــة فـــي النونيـــة 104

2 . الأساليـــب الإنشائية 105

3 . التقـــــديم و التـــأخير في النـــونيـــة 107

4 . تـــوظيف الأزمنـــــــــة 110

المبحـــث الثـــــالـــث : المستـــــوى الـــدلالي و المعجمـــي 112

1 . المعجـــم الغـــوي 112

2 . الثنـــائيـات الضـــديـــة 114

3 . الـــصور الفـــنيـــة 117

خـــــاتمـــــة 125

ملحـــــــــق رقـــم 01 128

ملحـــــــق رقـم 02..... 133

قـــائمـــة المصـادر و المـراجـــع..... 139

فهـــرس المـوضـوعـــات..... 149

ملـــخـــــص

حاولنا في هذه الدراسة التقرب من موضوع ا لاغتراب في الشعر الأندلسي من خلال قصيدة " **أبي البقاء الرندي"** - لِكُلِّ شَيٍ ء إذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ- الذي عُدّ خاتمة الشعــراء الأندلـــس.

اشتملت الدراسة بعد مقدمة على مدخل وثلاثة فصول و ملحقين ؛حيث تناولنا في المدخل المنهج الموضوعاتي ، أما الفصل الأول فاختص بمفهوم الاغتراب و سيرة هذا المصطلح إضافة إلى أنواعه ومظاهره ، كما حاولنا رصد هذه الظاهرة في الشعر العربي القديم (من العصر الجاهلي إلى غاية العصر الأندلسي) . أما الفصل الثاني فتمحور حول الدراسة الموضوعاتية ؛ إذْ تناولنا فيه عوامل ، أنماط الاغتراب و آليات قهره في القصيدة . كما تطلبت الدراسة في الفصل الأخير الوقوف عند أهم المستويات الجمالية و الفنية المكونة لبنية القصيدة . في حين اشتملت الخاتمة على أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

الكلمــات المفتــاحيـــة : الاغتـراب – أبــو البقــاء الرنــدي – الموضوعـــاتيــة .